الرواياتي



أشرف توفيق

الرواياتي

أشرف توفيق

د احلام معمرى

جامعة قاصدى مرباح – ورقلة – الجزائر

(الرواياتى) لأشرف توفيق رواية مكثفة ينطبق عليها العبارة الانجليزية (novel) أي قصة طويلة ـ وهو التصنيف السليم لنص السرد الذى بين أيدينا ـ ولا أدرِ لماذا تجاهل ذلك الكاتب؟!

قانون الرواية يخترق كل القوانين.؟!. ماركيز.

تتناول الرواية سيرة دارس فى فرنسا يدرس فى جامعة ليون وقد اصطحب معه زوجته وابنه الصغير. ومن خلال دراسته ولياليه فى فرنسا (بلاد الجن والملائكة) كما يقول السارد. يكشف ويكتشف لنا اختلاف الثقافات و تذوق الحياة بين الشرق والغرب ويكتشف من ضمن اكتشافاته وجة آخر للإسلام فى بلاد الغرب في فرنسا والتي وجد فيها عرب من لبنان وسوريا والمغرب وتونس والجزائر بل ان مدينة (ليون) بدت له وكأنها مقاطعة عربية ؟!.

ويلاحظ أثر النص السابق على النص الجديد،فهو يستمر بنفس ابطال "بقايا زليخة الراسب فى الفنجان" وبنفس البيئة المكانية ،فى نصه الجديد جاعلاً لنفس الشخصيات رواية أخرى، وهى من إشكاليات السرد منذ ثلاثية محفوظ ،وحتى ثلاثية أحلام مستغانمى؟! لأنها تعنى أن النص السابق ناقص، والنص اللاحق أكثر نقصاً؟!

ولكن محفوظ امتد بأبطاله من"بين القصرين"،إلى"قصر الشوق"، لل"سكرية"عبر تكتيك الزمن فكتب عن شخصياته من الطفولة حتى الكهولة، فكمال عبد الجواد واخيه يس شخصيات مختلفة فى كل رواية من الثلاث عبر الزمن.. ولكن الشخصيات عند توفيق، وعند مستغانمى لايطولها الزمن!

ولأن مخطوطات الأعمال الروائية السابقة بين يدى ، فاستطيع القول عن امتدادها جميعاً وتداخلها وضغطها على النص الجديد، فهو يحتفى بتجربة صويلح١وراق الحب

فى روايته"سرير بلا احلام" ثم بقصد أوعن غير قصد يقلده فى عمله الاخير الرواياتى فهو بلعبة التداعى والإسقاط النفسى أنتحل، داخل نصه ثلاثة من الروايات الممنوعة ذات مذاق "الأشهر لعنة" غير مهتم بما قد يصيبه من لعنات؟..واستمرت معه عقد بطل روايته الأولى"مملكة الجنة"٢،الذى يستسلم للأغواءمع الأجانب: "الفرنسية ،واللبنانية، والمغربية،" ولكنه يلزم العفاف مع المصريات؟!.. فهل العفة غير شاملة لكل النساء؟!

وتأخذ "الرواياتى" منحي ثقافي واضح حيث يعايش الراوي لحظة الصدام بين حضارته المورثة وحضارة الغرب،تخايله ثقافته بأزمنتها الأسطورية ولكن قدرة الراوي على السرد والوصف تجعل هذا التماس مضبوط الإيقاع ...

ويبدو التجريب في الكتابة حيث أن الرواية مكتوبة بطريقة (الكولاج) فالراوي يشتغل على (الوثيقة) فقرات من نصوص روائيه آخرى شهيرة يفكرنا بتجربة (خليل صويلح) فى روايته " وراق الحب". ويستمر التجريب في تضفير الواقعي مع المتخيل علي طول الرواية والتماهى فى "الإنتحال".. وعبر"التناص"يقدم لنا الكاتب الدليل العملي على نظرية (هيمنة الرواية) ؟! باعتبار ان الرواية الوحش الجميل التى اجتاحت الأجناس السردية واستحوذت عليها بما لها فى جوهرها من روح هيمنه وتسلط مكنتها ان تذيب كل الإبداع السردي في أهابها، إن المؤلف لسابق تجاربه مع الصحافة يخرج لنا شكل روائي جديد له مذاقه الخاص هو (الرواية ـ الكتاب) أو (الكتاب ـ الرواية) ؟! فعبر تجاربه الروائية التناصية،لم يفلح فى أن يفلت بنص منها من داء التهجين الوثائقى، فتارة النصوص القانوية كما فى (مملكة الجنة)،واخرى بالجورنال، فهو يعترف فى (سرير بلا أحلام) بأنه يتشوق لروايه تتدفأ بالجريدة،ويأتى بمشهد باطنى٣،يظهر فيه تعلقه بالصحافة وتفضيلها على العالمين،وفى(الرواياتى) تدفأ بروايات الأخرين، حتى بدى نصه،كأسفنجة زاد وزنها وحجمها بأمتصاص روايات آخرى.ويقصد بالتناص <u>Inlerlextualite</u> التفاعل الحاصل بين النص المكتوب ومختلف النصوص أو اشلاء النصوص ، سابقه أو معاصره،أو قابعه فى الوعى أوالاوعى، الفردى أو الجماعى.

اما زوجه ـ بطل الرواية ـ المصرية بالطبع؟! فقد كان لها فى فرنسا مآرب اخري فهي من دارسي الاثار..والتاريخ الفرعونى لقدماء المصريين وقد فتح لها العشق الفرنسي الزائد للحضارة الفرعونية الباب لتعاود بحوثها ليكشف لنا المؤلف وجهاً "فرانسو ـ يهودى" قبيح .انه قانون (جيسو) الصادر فى فرنسا سنة ١٨٨١م فيما يعرف (بقانون حماية السامية) وهو فى حقيقته تحول لحماية اليهود، وبعد ذلك لحماية اسرائيل مباشرة . والذي يحظر الاقتراب من الفترة من ٤١ ١٩ـ ١٩٤٦ وما جري لليهود خلالها وبسببه تم اتهام اكثر من مفكر واديب ومدرس فرنسي لانهم تجرأوا ونفوا وقوع (الهولوكست) او (الحرق بغرف الغاز) مما ينافي ابسط قواعد الموضوعية والتجرد عند البحث التاريخي ! وتنتهي الرواية بهروب البطل وزوجته من فرنسا بعدما طلبهما الاستدعاء للتحقيق بسبب مقالة ارسلت بها زوجته لصحيفة تنكر فيها محاولات تهويد التاريخ الفرعوني وسرقته لحساب اليهود وتآويله لصالحهم!

لتنتهي الرواية بنهاية مفتوحة تحتمل تأويلات عديدة وتطرح اسئلة ملحة . فالبطل الذى الح بأنه يدرس القانون٤بفرنسا ، يعجزعن توفير غطاء قانوني لزوجته فيترك دراسته ويهرب معها مما يرسخ لدي القارئ قوة الصهيونية العالمية فيكون السؤال هل اصبح الخوف الذي اختتم به روايته بديلاً عن المواجهة ؟! وقد يكون الهروب من زواج مشبوة،صنعه السارد على عجل مع الشيعية،وادخلنا به لمناقشات فقهيه فى زواج المتعةاتعبه واتعبنا..

ولقد كان سر اهتمامي ب "الرواياتى" هو ما طرحته (سامية بابا) فى تناولها للعمل ـ فى جلسة بيننا بالجزائر ـ لأنها صديقة للكاتب ولكنها اصابته (بنيران صديقه) حينما طرحت سؤالا: [هل السارد والمؤلف شخص واحد أم شخصان مختلفان؟ ! واردفت ـ وكلاهما مرـ !! ـ ولا اعرف سبب المرارة فى الحالتين!ـ وهو السؤال الذي يتكرر..ولكن مع كل ابداع انثوي؟! ويتكرر البحث عنه فى الأدب النسائي ! فهل اصبح الأمر محلا للعناية حتي فيما يكتبه الذكور؟! أم صار حالة نقدية لكل نصٍ روائى!!] قالت: لذلك لا عجب إن رأينا حتى فيلسوف الحرية (جان بول سارتر) يقول: " لقد حان الوقت لكي أقول الحقيقة أخيراً، ولا يمكن أن أقولها إلا في عمل تخييلي"؛

قلت لها: فمما لا شك فيه أن الكتابة عن الذات تتطلب بالضرورة كتابة عن الآخر.والحال كما يقول أندريه موروا في كتابه (فن التراجم والسيرة الذاتية) أننا "..إذا قررنا أن نقول كل شيء عن حياتنا، فنحن لا نملك الحق في أن نقرر أن نقول كل شيء عن حياة الآخرين". بل إن إحساساً بالمسؤولية قد يفرض نفسه من حيث وجوب حماية أولئك الذين رافقونا، أو ارتبطوا ارتباطاً مباشراً بالأحداث من خلال صلتهم بنا.هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأديب يعطي لقارئه ما يظن أنه النصيب الحقيقي له، ذات الكاتب وحدها(وهو مايفعله اشرف توفيق ببراعة) فتكون العملية الانتقائية محكومة في كثير من الأحيان برغبة في الصون من الابتذال؛ ففتح خزانة الحياة عند (توفيق) وفقاً لتعبير فدوى طوقان "نبش الخصوصيات ليس بالأمر الهين"

فإذا كان المؤلف فى ال (C. V) الخاص به سفره لفرنسا ،أو حصوله على دبلوم من احد جامعاتها، وكانت الرواية محلها فرنسا ،جاز لنا ان نقول الرواية سيرة ذاتية ونجعل السارد والمؤلف شخص واحد ؟! أم ان النقد يجب الا يتحول الى بوليس عشوائي يدخل الى الرواية بدون اذن نيابة يفتش غرفها ويتلصص على محتوياتها بالطبع اعرف هذا الاحساس الغيبى الذي يحركة استخدام الكاتب لضمير المتكلم المسكوت عنه،فيتوهم المتلقي ما هو مكتوب بالسيرة الذاتية !!

ولكن ما هو موقف النقد الادبي الواعي ؟! انا اري أنه فى الرواية (نحن امام كائنات حبرية ورقية وحين تكون كائناً وهمياً فلا تخاف من رؤية نفسك عارية ولا خوف عليك من قشعريرة مرتجفة على الورق امام بركة حبر .. لقد انتهيت كشخص وبدات كشخصيه.) فأنا لا اعتبر الرواية :بوح افضي الى فضح ـ وامقت النقد الذي يهتك سر الرواية. واعترف باني قرأت هذا العمل المبدع بشغف وعمق كبيرين وأضاف لي إبعادا ما كنت احصل عليها بدون أن اقرا هذه الرواية الجميلة القالب والمتن، واحيي كاتبها المبدع على هذا النص الجميل الرشيق الخالي من الترهل ،وارفع قبعتي لما قام به في اللغة فقد ضبط سرده بالتشكيل للحروف نحواً وصرفاً معترفاً بان اللغة هي الركن الأساسي في السرد وهو الأمر الذي تخلي عنه كثير من الروائيين الآن .

أحلام معمري *

❖ ترجع معرفتى بالكاتب لندوة بمسرح الهناجر،بأوبرا(مصرالمحروسة) ،كانت تناقش كتابه (اعترافات نساء ادبيات)،كان يجلس على الStage مع د(فاطمة موسى) استاذة الأدب الانجليزى (ماما الكاتبة أهداف سويف) وهى تدير الندوة؟!.ولما كانت(د فاطمة هى مقصدى)
==

==

فقد حضرت الندوة لنهايتها،وتعرفنا باقتضاب وأهدانى كتابه بلا إهداء.. وفيما بعدأستفدت من الكتاب فى ورقة بحثيه" إشكالية الأدب النسائى فى اللغة والمصطلح" فى الملتقى الدولى الأول فى المصطلح النقدى بجامعة قاصدى فى مارس٢٠١١.. وحتى هذا التاريخ لم أعرف عنه إلا كتابه، ويسرت وسائل الإتصال الحديثة عبر النت والMail معاودة الإتصال فقد اكتشف بحثى- سالف الذكر- بجوجل، وجأنى خبر روايته (مملكة الجنة) عبرالمجلات الالكترونية فى ٢٠١٠ آخرعلاقتى بك وقت أن كنت تكتب فى الصحا فة؟!، وعند ارسالى له نسخة الكترونية بال master Degree لى فى الأداب عن(بنية الخطاب السردى فى رواية " فوضى الحواس" ل احلام مستغانمى) ،اولانى امر تعلقه الذى جاء متأخراً بالرواية؟! وفى نهايات٢٠١٣ ارسل لى مخطوطة (رواية) وقبل قراءتها، برجلنى حين أخبرنى عن صدور"رواية" له اخرى؟! فتح شنطته فى هدوء وأعطانى نسخة؟! وهاهى مخطوطة رواية (رابعة) تصلنى مع رغبة اكيدة منه بأنه لن يتحرك بها قبل أن يأتيه نقدى،

١ — يقول الكاتب فى روايته "سرير بلا احلام" : الراوى"الورّاق"يبدأ نصّه باعتراف صريح بأنه يكتب رواية تختزل الروايات التي قرأها طوال ثلاثين سنة ويعترف بأنه ينتحل (يسرق) من روايات الآخرين بعين جسورة لا مكسورة ؟! يمرّ على معلّمي الكتابة والحكي والرواية والسرد عبر العصور منتحلاً من هذا ومقتبساً من ذاك ومقتطفاً من الثالث متكئًا على الرابع ويقول دون أن يطرف له جفن إنّه كان على وشك انتحال١٣٠ صفحة من رواية بريد (بابلونيرودوا) اكتفي بثلاث صفحات تمضي الروايه ذات الـ١١٢صفحة على هذا النحو من القصّ واللصق لمقاطع وصفحات طويلة كاملة من روايات الآخرين

٢- د. أشرف توفيق يضعنا امام علاقات حب مرتبكة،فى فترات زمانية أكثرارتباكاً،فبطلة روايته "سرير بلا احلام" اديبة مصرية لا ترى لها فرصة في الحياة إلا في ما تخطه على الورق. فهى يدفعها حب الكاتبة بداخلها الى مغامرات الحب المرتبكة؟! تشتبك مع الآخر لكي تكتب؟! تخترع اسطورة "عذرية شهرزاد"لتبقى على الكاتبة للأبد وتلقى بالمرأة جانباً،دون أن تسأل لمتى؟!ولذا فهى فى علاقتها مع السارد تقول: (تعفف ارجوك، لأكسب رهاني على نفسي وعلى كلمتي،لا رهاني عليك!)

٣- *يقول السارد فى "سرير بلا احلام" : دعكتنى امى بالفكس ووضعت جريد قديمة على صدرى لأشف من البرد الشديد....*

٤- *بالنص*: اتذكر انى عرفت المكان منها اثناء مُحاضرَة: (أهميَّة نصوص الرَّأفَة وإيقاف التَّنفيذ فِي التّشريع العِقَابِي) .. تحدثت باختصار عن نص م١٧ في مصر وكذا م٥٥ فِي إيقاف التَّنْفيذ . كانت تتدخل وتسعفني فتشرح ما أقوله إذا تطلب الأمر الإطالَة .. كانت لساني فِي غربتي ففرنسيتي عرجاء

==

الفصل الأول

أصْبَحْتُ أمام المكان الكأس المقدسة حديقة(Holy Grail)• بجنوب فرنسا ،رصد بعض المؤرخين والكتاب حياة المجدلية وكتبت" لين بينكت"

==

❖حيث اقعد توجد حجرية كبيرة عليها حكاية أسطورة "الكأس المقدسة" أنها الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي ليجمع فيها دم المسيح التي تساقطت من جسده على الصليب. دونت الأسطورة في شكل قصيدة غير كاملة ،تحكى الحجرية المبهرة الأضواء:

((بأن الكأس كانت لها قوة إعجازية كبيرة، وكان العثور على هذه الكأس هو هدف فرسان الدائرة المستديرة التي كونها الملك آرثر الذي حكم بريطانيا في نهاية القرن الخامس الميلادي وبداية السادس، والذي دارت حوله الأساطير الكثيرة. ثم تم ربطها بأسطورة أخرى،هي أسطورة الكأس التي استخدمها الرب يسوع المسيح في العشاء الأخيرفيوسف الرامي استخدم كأس العشاء الرباني في جمع دم المسيح من على الصليب ثم أُلقي يوسف في السجن وهناك زاره المسيح وكشف له أسرار هذه الكأس المقدسة، وبعد أن خرج من السجن أخذ أنسباءه وأتباعه الآخرين وسافر إلى الغرب، وهناك أسس سلالة حراس الكأس المقدسة.))

- حيث اقعد توجد حجرية كبيرة عليها حكاية أسطورة "الكأس المقدسة" أنها الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي ليجمع فيها دم المسيح التي تساقطت من جسده على الصليب. دونت الأسطورة في شكل قصيدة غير كاملة ،تحكى الحجرية المبهرة الأضواء:

((بأن الكأس كانت لها قوة إعجازية كبيرة، وكان العثور على هذه الكأس هو هدف فرسان الدائرة المستديرة التي كونها الملك آرثر الذي حكم بريطانيا في نهاية القرن الخامس الميلادي وبداية السادس، والذي دارت حوله الأساطير الكثيرة. ثم تم ربطها بأسطورة أخرى،هي أسطورة الكأس التي استخدمها الرب يسوع المسيح في العشاء الأخيرفيوسف الرامي استخدم كأس العشاء الرباني في جمع دم المسيح من على الصليب ثم أُلقي يوسف في السجن وهناك زاره المسيح

==

في كتابها "مريم المجدلية: (أن السيدة رحلت إلى فرنسا،التي كانت تسمى بلاد الغال وقتها،ولا يعرف الكثير عن فترة وجود المجدلية في فرنسا، وان كانت الحكايات المتواترةعنها أنها وضعت هناك ابنتها من المسيح ولكن الحقائق المؤكدة تقول انه بحلول القرن الثاني عشر والثالث العشر الميلادى- كما رصدت(سوزان هيسكنز) في مؤلفها حول المجدلية [زيادات بشكل ملحوظ فى أعداد الحجاج الذاهبين لزيارة ضريح مريم المجدلية في (فيزالى) بجنوب فرنسا،] والمثير أن العديد من الرسائل البابوية من الفاتيكان والتي أصدرها البابوات لوشيوس الثالث، وأوربان الثالث، وكليمنت الثالث، قد أكدت جميعها بشكل رسمي، أن جسد المجدلية مدفون بالفعل في فيزالى، إلا أن احد منهم لم يفسر على الإطلاق كيف استقرت جثة المجدلية هناك؟!)

بحثْتُ بِعَيْنَيَّ عن ركن بعينه يذكرنى بها، كان المكان ممتلئًا بالنَّاسِ من كُلِّ بِقَاعِ الأَرْضِ شمال أفْرِيقْيا، لِبْنَان بعض أَهْل الْخَلِيج وكَثْرَة عِرَاقِيَّة وَسُورِيَّة..أَشْعُرُ في قِلَّةِ الْمِصْرِيِّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّر.لَكِنِّي تَذَكَّرْتُهَا فَشَعَرْتُ براحَة لاأعرف مَصْدَرها كان وجودُها معي يجعلني أتحَدَّي غُمُوضَ الأماكن الجديدة، جمعتني بها الدراسَةُ، قَدَرٌ نَاعِمُ الخُطَى فِي جامعَة ليون بفرنسا! جمعتْنا قليًلا، قاعات الدَّرس .. وكثيرًا الصُّدَف

==

وكشف له أسرار هذه الكأس المقدسة، وبعد أن خرج من السجن أخذ أنسباءه وأتباعه الآخرين وسافر إلى الغرب، وهناك أسس سلالة حراس الكأس المقدسة.))

كانت من هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ "كازينو الساحر"بالمغرب هَذَا الشّاطئ يقصدنه النِّساء مُنْذُ الزمن الْقديم، يأتين ليُغطسن أجسادهن سبع مرات فِي موجات سبع طلبا للزواج، أو رغبَة فِي الإنجاب السريع. ؟! جأت من هُنَاكَ حيث الْحياَة بلون الْبحر!!

الْمَكَان بزجاجه الْملوَّنِ وبديكوره الْبسيط يُوحِي بأزمِنَةٍ أُسْطوريَّة مشربيَّات بالأَرَابِيسك الْمُتداخل،عَاشِق ومَعْشُوق مشكاوات مُتناثِرَة هُنَا وهُنَاكَ،قُلَل فخَّاريَّة تخرج منها إضاءَة خَافِتَة تَتَلوَّن بلَوْن جَوْف الْفخَّار فترى كل ألوان قوس قزح،الأحمر يتداخل بالأزرق، والأصفر يطل من الأخضر..النِّساءُ كثيرات بجَمالِهنَّ،وأناقَةِ مَلابسِهنَّ الْعَاريَةِ عفويَّة جِلستُهُنَّ تُظْهِرمِن أفْخَاذِهِن أكثريكثيرمِمَّا تعوَّدْتُ،فتُعْطِي الْمكانَ مَذاقَ الْمُعاصَرَة وليس عراقة وعتاقة الدين؟! بدى الأمرمجرد (سياحة ــ صرفة) تعتمد على اساطير،وميثولوجيا(مسيحية)،وليس على حقائق دينيه! أونصوص إنجيلية وكيف لا. ونحن فِي فرنسا – العلمانية الأوربية المعلنة ؟! ولكن ماذا حدث للذُّكور؟! أغلب الْمَناضِد حولها فرنسيَّات بدُون رجال؟! حَلَقَاتُ الدُّخَان من فَمِ الْفرنْسيَّات لها تداعِيَات خَاصَّة،هل هذه الْمناضِد (جيتو خاص ـ أم أنَّ فرنسا تعرِف الْحرَمْلِكَ؟

كان معى وحدتى، ونسخه من الطبعة الأولى، لرواية النبطى (ليوسف زيدان) وهوعنده الرواية بحث إنسانى فى كل العلوم. والرواية حكاية امرأة قبطية شابة (مارية)،تلاحق الأحداث والتطورات،من خلال وجهة نظرها فالراوية تعيرنا حواسها لنرى ونفهم كل ما يدور من حولها إن ميزتها تكمن في قوة ملاحظتها ورهافة ذاكرتها هي امرأة استثنائية،وقد تكون في شخصيتها بعض السلبية،! غير أنها من جانب آخر كانت تستجيب لنداء جسدها وتستطيب عوالم المتع.، وفي سردها

لأحداث الرواية تختار لغة أقرب ما تكون إلى الاحتشام، تنقاد مارية لغواية عربي جميل، طيب الرائحة تصادفه في طريقها بأرض خلاء،وهي مراهقة،ومعه خبرت النشوة الجسدية للمرة الأولى.. كانت تجربة،مبهمة،مبهرة،كما تقول:

"بي ارتجافات في حضنه،فتحت عينيّ المسبلتين، فرأيت عينيه تغوصان فيّ،من فوقي،ومن خلفه بدت أطراف النخلات ورؤس الأعمدة بعيدة جداً،كان وحده القريب،اللصيق لن يمر الآن أحد من هنا. مر ذلك بخاطري،فغمرتني رغبة تدعوني للذوبان التام،والتوحد معه،ومع الأحجارالمحيطة،ومع حدود الكون.أدركت أن مايفعله بي، لي، لا له"

وسيبقى ذلك المذاق الحلوالمفرط في عذوبته عالقاً في زاوية ما من ذاكرتها وروحها، وستبقى انتشاءاتها اللاحقة في السفح، لن تطول تلك الذروة التي وصلتها في تلك الساعة البعيدة،مع التاجر العربي، التي تبدو مثل حلم فردوسي، هارب ستحتفظ مارية بسرِّها هذا، لنفسها،حتى وقت طويل، مستعيدة في الليالي نكهة ذلك اللقاء العابر المدهش وهي تداعب جسدها فلم تجد في زوجها، فيما بعد،رفيقاً جسدياً وروحياً؟! فتنغمس في علاقةحميمة،مع شقيقة زوجها" ليلى"وهي أرملة جميلة ذات شهوة جنسية لا تكاد تخفيها .وبحسب وصف مارية لها: "حين تبتسم،تلمع بين سمرة شفتيها أسنانها،كأنها نجوم مصفوفة تزين سواد الليل."

(ليلى) هذه.غامضة،كالليل،وحالكة،وحافلة بالأسرار.هذه العلاقةالمحرّمة لن تلفت انتباه أحد، بيد أنها تعوّض مارية عن حرمانها العاطفي والجنسي مع زوجها" العقيم ـ جاهل المعاشرة" وشعورها بالوحدة وهي بعيدة عن أهلها، وقريتها . في البدء تختلي" ليلى"

وحدها،بين الصخور تتعرى ويتهيأ لها بأن الجن يواقعها!! تسألها مارية وما الذي يفعله معك الجن ؟! فتقول لها: يفعل العجب العجاب؟جرّبي مرة ،وسوف تصدّقين وبعدها تسعدين؟! لكن بعد ذلك، تترك "ليلى" وهمها ذاك وتتعلق بمارية؟! التي تهيم بها هي الأخرى.. تجلسان، وإحداهما تحدق في عيني صاحبتها.. تقول"مارية" : .. (كأن عينيها كهف، فيه شهد مصفّى.. تحرسه الزنابير.. يدفعني إليها غموضها، وبقربها يغمرني إغواء ملتبس مستحيل)...

لكن في النهاية تتزوج ليلى،تاركةً،مارية،لوحدتهاووحشتها..أهذا مايفعله النساء امام جوع الجسد؟!.الهذا نساء فرنسا غير مهتمات بالحبيب،والرجل المرافق للأماكن وحيدات مع غواية الأمكنة! فهل انهار طقس الزواج من العالم ،وصار كل منا وحيداً؟! .. يالا النساء الوحيدات!!..

هل تأتى معشوقتى الحلوة ؟! ولكن متى تأتي الصُّدف بما يشتهي العْناق! صاحبتى غير ذلك تلهو فى باريس بعيداً عن أزقة المغرب الضيقة وعيون حاراتها الواسعة المتلصصة؟! ما كنت أمشي معها في الشارع العام،وهى بجانبي من دون أن تضع يدها حول وسطى..اصرخ مبتعداً عنها: مجنونة، نحن في الشارع العمومى..الاترين الناس؟!.. تلتصق بى وتقول: إنهم لا يرون شيئا.لا أحد ينظر إلينا، تلفت نظر الناس،عندما تبتعد عنى!.. وأنا أشهق رغما عني، والتصق بها، نبحث عن باب أول عمارة أمنة تصادفنا،اجذبها فيها اليُ؟! بداية كنت مضطرب، وبمرورالوقت تعودت وصارت تمشي إلى جانبى وعيناها تبحثان معى عن أي مكان يمكنني فيه أن اقبلها وأتحسسها.. لوجأت لتغيرت إستاتكية المكان؟!

أذكر يوماً.. بهذا المكان..

قالت: ماذا يريد الرَّجل بعد أن تعطيه الْمرأَة كفَّهَا فِي أمان؟

قلت: ومتى يحدث ذَلِكَ ؟!

قالت: حينما يمنحها الرَّجل براءته ؟!.

.. تركت يدها فى يدى آمنة، فلقد كنا نبحث معاً عن لحظة البراءة..؟!

استمرت تحك عن المكان،والكأس المقدسة ..

قالت: وفي القرن العشرين تم تصويرها في كثير من الأفلام الروائية وأخيًراً صدرت في كتاب روائي باسم:" الدم المقدس ،الكأس المقدسة" سنة ١٩٨٢م. وفي هذا الكتاب قدم مؤلفوه الثلاثة الأسطورة،بأسلوب تقديم الحدث التاريخي في صورة رموز وألغاز وأسرار،وحولوا دم المسيح إلى نسل للمسيح،والكأس إلى رحم مريم المجدلية، الذي حمل نسل المسيح. وزعموا أنه من المحتمل أن يكون المسيح قد ذهب بعد الصلب مع مريم المجدلية وأطفالهما، التي تخيلوا أنه يمكن أن يكون قد تزوجها!! إلى ما يعرف الآن بجنوب فرنسا،وأسسوا هناك سلالة ملكية، هي الميروفينجيان الذين حكموا المنطقة التي تعرف الآن بفرنسا وألمانيا من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الثامن،وكان يشار إليهم أحيانا، بالملوك ذوي الشعر الطويل تقول: (المكان اصبح مشهورا بالكأس المقدسة بعد رواية كتبت فى ٢٠٠٣ م ليثورسؤالاً: هل تزوج المسيح بمريم المجدلية؟ وهل أنجب منها أولاداً؟ وهل تعيش ذريته حتى هذا اليوم؟!

قلت لها: لم يكن المسيح متزوجاً فحسب، بل كان أباً أيضاً

اتصدقين رواية زادها الخيال؟!

قالت: الكتاب الروائي يوثق الحقائق بالسرد، ويتركنا نفكرهل كانت مريم المجدلية الوعاء المقدس؟وكانت الكأس الذي حمل سلالة يسوع المسيح الملكية؟والرحم الذي حمل ورثة المسيحية والكرمة التي أنتجت الثمرة المقدسة؟!

اعتبرت(الكتاب– الرواية) قنبلة في وجه الكنيسة الكاثوليكية وأن كان ما كتب موجه للعقيدة المسيحية بصفة عامة وترجمت هذه الرواية إلى ثمانين لغة منها اللغة العربية،..

قالت: هذا الكلام جاء في رواية "شفرة دافنشي" للروائي الأمريكي دان براون يقول فيها(أنه خلال القرون الأولى للمسيحية لم يكن هناك اعتقاد بألوهية المسيح، ولكن كانت النظرة له أنه نبي عظيم وقائد فذ وبشر فان، وأن قرار ألوهيته أتخذ على يد البشر في القرون اللاحقة أثناء تأسيس الكنيسة نفسها بشكلها الذي عرفه العالم،وبما أن المسيح كان إنساناً عادياً في المقام الأول فقد أحب وتزوج مريم المجدلية،وهي نفس السيدة التي وصمتها الكنيسة في مراحل متأخرة أيضا بأنها زانية وزعم (براون) على لسان بطل روايته،أن المسيح أنجب من مريم المجدلية ذرية ذات دم مقدس؟!) ابتسمت حينما وجدت سجائري (المْينتول) بلونها الأخضر النّعناعي أشعلت واحدَة.. واتذكروهي تُرَدِّد

: متى تُغَيِّر شعالَة النَّار هذه؟!

قلت لها: شيئا خطيرًا أن يغير الرَّجل نوع تبغه!!

قالت: لا مفر..استسلم؟!

مـن يومهـا وأنـا أدخـن سـجائر مينتـول خضـراء... كنـت لا أدخـن السيجارَة.. بل أدخنها بداخلي. فهل هي مُضِرَّة أيضًا بالصدر!!

سألتها كيف تعرف كل هذا عن المسيحية وهى مسلمة شيعيه،قالت انهـا براعـة فاطمـة المرنيسـى اسـتاذتنا فـى المغرب،جعلـت علـم الإجتمـاع علـم حياة،واكتشفت علاقة بين الأصولية الدينية،والحركة النسائية. فلقد ولد الأثنين فى وقت واحد - فى مصر، الإخوان المسلمين وحسن البنا، والحركة النسائية وهدى شعراوى ،احد عناصر تعلقى بك مصريتك؟

آه يا هي...آه ياعريدَة الْعقل؟!.هكذا قلت تعليقاًعلى عبث العقل بالأديـان تحـت مسـمى شـيطانى: حريـة البحث،ورحابـة الأعتقـاد،وسمو الشـك،وروعة صـدق التـاريخ؟! أخـذت نَفَسًـا عَمِيقًـا،مـن السِّـيجارَةالَّتِي توهَّجَت بين أصابعي وابتلعتُه،رددت عبارة:(انه تلبيس ابليس؟).. تعجبت وقتها بعيناها ولم ترد!

الْمَكَـان بزُجاجِـه الْملَـوَّن وبـديكوره الْبسِـيط يُـوحِي بِأزمنَـةٍ أسْـطوريَة،بَاقي النِّسـاءِ منَ،الْجِنسـيَّات الْعربيَّـة مُرْتَبِكَـات بـين السُّفُورِوالْحِشْمة،مع تدرُّجِ مِزاجِيٍّ فيما يُظْهرْنَ من الشَّعر أخَصْلَة تكفي؟ أم حِجَابٌ لا يُظْهِرُه ؟! أوإِطْلاقُه على حُرِيَّتِهِ لِلنَّسِيم ليقول آهاتٍ؟! لقد جئن بملابس حشمة تناسب زيارات دينية،فوجدن فرنسا لعوب لاتهتم؟! على كل حال الْفُرجَة والْبحْلَقَة أكثرُإِثَارَة؟!

تـذَكَّرْتُ مـا قَالـه طَهَ حُسـيْن فِـي روايتـه (أديـب) عـن فرنسـا بـلاد الجِـنِّ والْملائكَـة...ولكـن هـل تنـزِل الْملائكَـةُ فِـي حُضـورِ النِّسـاءٍ ؟! جـاء السُّؤَالُ الْغَـبي: هـل تنـزِل الْملائكَـةُ فِـي حُضـور النِّسـاء – معهـا تعليقـاً ساذجاً على حكاية مريم المجدالية وزواجها بالمسيح؟!

قالت: مريم الْعذراء كانت ترافقها الْملائكَة،والأنبياء أفضلُ من الْملائكَة وكان لكلِّ امرأَة واحدَة،.. أكثر التوراَة تقول إن النَّبي داود كان عنده ٩٩ امرأَة وكان مُستعدًّا أن يرسل ضابطًا عنده إِلَى الْحرب على الْحدود بعيدًا لِكَيْ يضم إليه زوجَة الضَّابِط فيُكمِل مائَة امرأَة !! فلماذا لا يكون للمسيح امرأته؟!

فلم أُعَلِّق على ردِّها الْمُفاجِيء. والطويل، فلماذا لم أقل لها بأنَّ النَّبِي داود عاتبه الله على عِشقِه الْمِئَوي لأنه نظر إِلَى مُتَع جارِهِ،ولم يشكر على ما عنده فيظَلُّ السُّؤَال مَطْروحًا ؟! هل لأنِّي أمسكت يدها وأخذت أعُدُّ الخَواتِم في أصابعها ؟!أم لأني مثلُ النَّبي داود لم أكتف يوما بنعجة واحدة، فكيف سيتم عتابي أو عقابي وأنا ليس لي فِي الْغرام إلا أقل من عُشْرالنبى داودَ ؟!

كِتَاب كولن ويلسون(جُذورُ الدَّافِع الجنسي) بين يَدَيْ فرنسيَّة فِي الثَّلاثِين يتجسَّد وهِيَ مُستغرِقَة فِي صفحاته، تتململ تركَتْ كِتابَها،عَيْناها ترمِيَان من الْمجْهول إِلَى الْمجهول!! النِّساءُ لا يَصْبِرنَ على الْقراءَة؟ غلاف مجلَّة لامرأَةٍ عَاريهَ(فَرَشتْ رَمْلَ الْبحر ونامت،وتغطَّت بالشَّمْس) إنَّها نَاعومي عارضَةُ الأزياء. فأيُّ زيٍّ تَعْرضُ وهِيَ"بلبوص" أيكون العقد الماسى حول رقبتها ؟! مِشْكاوَات متناثرَة هُنَا وهُناكَ، قُلَل فخَّاريَّة بالمكان تخرج منها إضاءَة خَافِتَة تَتَلوَّن بلَوْن جَوْف الْفخَّار، فترى كل ألوان قوس قزح. هُنَا وهُناك. ضوء أزرق وديع يخرج من نمائم النُّحاس الْموضوعَة بالْمكَان بتلقائيَّة تُلْقي.أنوارًا خَفيفَة

مُرْتجفَة وظِلالا شفَّافَة،هُنَاكَ امتِدَاد تلقائيٌّ لِنَظَري ينتهي عند بِركَة مُتَّسعَة تتوسَّط الْمكَان..اتَّجَهْت إِلَى الـ (تواليت)

فِي نِهايَة الْمَمَرِّ.فِي منتصف الْممر الضَّيِّق قابلت الْمرأَة الْفَرَنْسِيَّة الَّتِي كانت تقرأ كتاب: كولن ويلسون نظرت إلي فِي وُدٍّ كأَنَّهَا تَعْرِفني! أكانت تتلصَّص أَيضًا ؟ أم شَعَرَتْ ببحلقَتِي على رجلَيْها الْمُمتَدَّتيْن فوق الْمِنضدَة، مُتجاهلَة أنها ترتدي" تايور قصير باهت" ؟! جيبتها القصيرة تخلق علاقَة تلصُّص خفيَّة فى أوتار الْوجود، تجود بالنَّغَم الْمكنون،واللّذَّة تسطع حتَّى تُعانِقَ الْجميع ؟!.

.كانت تريد أن تُخْرِجَ شيئًا من حقيبتها وفِي نفس الْوقت تضع كتابها.. ارتبكت، كادت شنطتها تفرغ ما فيها على فسيفساء الأرض تدخَّلتُ فتَمَّ تدارُك الأمْرِ.

قالتْ : Merci.

أخرجت فوط الْحفَّاضات النِّسائيَّة؟! حاولت أن أقويَ اللغَة الْفَرَنْسِيَّة ببعض الْغزل معها، ضحكتْ، علقت ببلاهَة بقصد جذب أطراف الْحديث، وانتباهها أيضا- بالطريقَة إياها- لدى الْمصريين ؟!

ـ ما السِّرّ فِي الْحفَّاضات، ألا يُوجَد ورق تواليت بالحَمَّام، إِنِّي قد أحتاج لواحدَة إذا كان الأمر كذلك ؟

- 'quelque chose pour la femme' حاجَة حريمي كده ؟!

ـــ أيحدث فِي فرنسا نفس الشّيْء للنساء؟! كنت أعتقد أنَّ الْفرنسيات من الْحُورِيَّات! النِّساء الْمَوْهوبات من الرَّب فِي الْجنَّة للرِّجال

الطَّيِّبين، يُعْطى الرَّجلُ الصالح "حوريَّتَان". اعتقدتُ أنَّ هُنَاكَ ما جعل بعضهن ينزل فرنسا حين رأيتك؟!

ـ ارْحَمْني أنا أنزف.

ـ الْحُوريَّات لا يستخدمن الْحفاضات النِّسَائِيَّة – فهنَّ لا يحضنـ فهل حوريات فرنسا ضد النَّص؟!

ـ أيها الشّبق اللحوح .. إني أنزِف.

تركتْ شنطتها بين أحضاني؟! دخلَتِ الْحمَّامَ مُسرِعَةً بِفُوَط الْحَفَّاضَات النِّسَائِيَّة.. دخلتُ الْحَمَّام الْمجاور الخاص بالرِّجال ـ فحَتَّى فرنسا تفَضِّل الْفصل فِي هَذَا الشّأن ارتبكت قليلا فعلى كتفي شنطةَ حريمي حمراء مكتوب عليها بالفَرنْسِيَّة: لماذا لا تفعل ما أراه فِي عينيك..؟!

porquoi tu ne faites pas quelle est dans votre yeux

أَيَدْخُلُ رَجل حمّام الرَّجال بهذا الْعرض؟!

(٢)

ازعج وحدتى شاب وفتاة يعرضا بيع رحلات قصيرة سياحية حول المنطقة منها المكان المتخيل قبر مريم المجدالية،وحين يأسا منى..عرضا بيع كتب فى اللاهوت القبطى،ومما عرضا كان مااحتاجة بالضبط، اشتريت الرواية *the Davinci codeo* رواية(دان براون) التى تقارب الـ ٥٠٠ صفحة كاتبها امريكي كان متوسط الشهرة ليصبح بعدها على راس قائمة أهم رجال ٢٠٠٥،هذه الرواية تتحدث في (تفاصيل خاصة جدا في الديانة المسيحية يعتبرها المسيحيون مسلمات بديهية لا يجوز المساس بها أو مناقشته)

تبدأ الرواية بـ "جاك سونيير" مدير متحف اللوفر،وهو يجرى داخل المتحف هاربا من شخص يحاول قتله،وهو ينجح في هذا بالفعل،إذ يطلق رصاصة تخترق معدة جاك سونيير ثم يتركه يصارع الموت وكل ما أمامه هو ١٥ دقيقة لينقل السر قبل موته،أي سر؟! يحقق في القضية النقيب"بيزوفاش" الذى يقرر بدوره الاستعانة ببطل الرواية "روبرت لانجدون"،أستاذ علم الرموز الدينية في جامعة هارفارد- اتعجب من هذة الوظيفة وهذا التخصص؟! والواقع أن هناك سببين لاستدعائه أولهما : انه كان على موعد مع القتيل. وثانيهما: وهو وضع جثة سونيير الذي عثروا عليه عاريا ممددا بصورة عجيبة على نجمة خماسية رسمها على الأرض؟. وبعد كثير من الاستنتاجات المعقدة والتي تساهم في حلها " صوفي نوفو" حفيدة سونيير والتي تعمل كخبيرة حل شفرات نفهم جميعا أن جاك سونيير كان القائد السري الحالي لجماعة تدعى"سيون" التي فقدت هذه الليلة أربعة من قادتها كلهم ماتوا موتاً فجائياً فى حوادث مدبرة ؟ لقد قرر تصفية قادة جمعية "سيون" ليحصل منهم على سر الكأس المقدسة وفى هذه الأجواء البوليسية،ومع أحداث الرواية تتضح التفاصيل أكثر وأكثر.. أن جاك سونيير يحمل فعلا مفتاح الطريق إلى الكأس المقدسة، لكنه استعان بشفرات دافنشي العجيبة ليحميه وهى شفرات لا يقدر على حلها سوى[صوفي وروبرت لانجدون] مجتمعين وكلما انتقلنا من نقطة إلى نقطة،وجدنا شفرات،العبقري"دافنشي" تنتظرنا بغموضها وسخريتها الرهيبة بعقولنا على لسان(لانجدون) نعرف بعض الأسرار الطريفة ومنها ما يؤكد أن دافنشي الرسام نفسه كان عضوا نشيطاً في جماعة" سيون" وانه كان من(عبدة الإله الأنثى ويستخدم لوحة الموناليزا فائقة الشهرة لإثبات

نظريته. بداية من اسمها ذاته والذي هو مزيج خبيث لكلمتي" آمون" و" إيزيس"، أي المزج بين الإله الذكروالأنثى، والمساواة بينهما في الأهمية) على عكس ما تؤمن به بعض المعتقدات الكاثوليكية،التي تقلل من أهمية الأنثى وتتهمها أنها اصل كل البلاء.لقد كان دافنشي عبقريا، وكانت موهبته في التشفيرلاحد لها،لهذا سخر موهبته لحماية أسرارجمعية سيون، ولهذا استعان بها قادة الجمعة من بعده ولهذا حملت الرواية هذا الاسم الغريب (شفرة أو لغز دافنشى) لكن هذا ليس كل شيء إن الكأس المقدسة هي امرأة؟! وتبدأ روعة الرواية بالخلط بين الحقيقى والمتخيل:

(لقد قلت أن لديك صورة للمرأة التي ادعيت أنها هي الكأس المقدسة،المسيح بذات نفسه هو الذي أدعي ذلك؟! وهناك كانت نسخة من لوحة العشاء الأخير بطول ثمانية أقدام معلقة علي الحائط لقد كانت هذه الصورة هي نفس الصورة التي كانت صوفي تنظر إليها بالضبط " ها هي!". اقتربت صوفي من اللوحة بتردد وأخذت تتفحص الأشكال الثلاثة عشر. كان يسوع المسيح في الوسط وستة من أتباعه علي يساره وستة علي يمينه" إنهم جميعاً رجال قال تيبينج: ماذا عن الشخص الذي يجلس في مكان الشرف علي يمين المسيح؟ دققت صوفي بالشخص الذي كان إلى يمين المسيح مباشرة. وركزت نظرها عليه. وعندما تفحصت وجه الشخص وجسده، أحست بموجة عارمة من الذهول تسري في جسدها. كان ذلك الشخص ذا شعر احمر كثيف ويدين ناعمتين مطويتين وصدر صغير. لقد كان الشخص دون أي شك. امرأة. كانت المرأة الجالسة علي يمين المسيح صبية صغيرة في السن ويبدو عليها الورع وذات وجه يتسم بالرزانة والحشمة وشعر احمر كثيف ويدين مطويتين بطمأنينة، هذه هي المرأة التي بأمكانها ببساطة

قلب الكنيسة رأساً علي عقب؟ من هي هذه المرأة؟ سألت صوفي" تلك يا عزيزتي "أجابها تيبينج" هي مريم المجدلية ..التفتت صوفي" الزانية؟".أخذ(تيبينج) نفساً قصيراً، كما لو إن الكلمة جرحته في الصميم ". لم تكن المجدلية كذلك قط. وتلك الفكرة الخاطئة هي الإرث الذي خلفته الحملة القذرة التي أطلقتها الكنيسة الأولي فقد كانت الكنيسة بحاجة لتشويه سمعة مريم المجدلية وذلك للتغطية على سرها الخطير وهو دورها ككأس مقدسة."كما ذكرت"،أوضح تيبينج ،" فأن الكنيسة كانت بحاجة لإقناع العالم بأن النبي الفاني يسوع المسيح كان كائناً إلهياً. ولهذا فان أي انجيل من الأناجيل كان يتضمن في طياته وصفاً لمظاهر إنسانية فانية من حياة المسيح، كان يجب حذفه من الإنجيل الذي جمع في عهد قسطنطين، لكن من سوء حظ المحررين الأوائل، كان هناك موضوع بشري مزعج يتكرر في كل الأناجيل، وهو موضوع مريم المجدلية. صمت لحظة وبكلمات اصح، واوضح فتح موضوع زواجها من يسوع المسيح ؟عفواً ، ماذا قلت؟" نظرت صوفي إلى لانجدون ثم نظرت إلى تيبينج ثانية." أن ذلك كله مذكور في السجلات التاريخية، لم يكن ذلك كلامي أنا "، قال تيبينج، " وكان دافنشي علي علم تام بهذه الحقيقة". ولوحة العشاء الأخير هي صرخة للعالم للفت نظرهم إلى أن يسوع والمجدلية كانا زوجين"..حدقت صوفي من جديد في اللوحة الجدارية." لاحظي أن يسوع والمجدلية يلبسان ثياباً متماثلة تماماً لكن بألوان متعاكسة أشار تيبينج إلى الشخصين اللذين كانا في وسط اللوحة الجدارية" كانت صوفي تكاد لا تصدق عينيها. هذا صحيح، لقد كانت ثيابهما متعاكسة في اللون؛ فيسوع كان

يرتدي ثوباً أحمر وفوقه عباءة زرقاء في حين أن مريم المجدلية كانت ترتدي ثوباً ازرق وفوقه حمراء، ين ويانج.؟!)

.. تنقلنى الرواية بمتعة الأكتشاف بين التصديق والخيال إلى ما هو أكثر غرابة

] قال تيبينج لاحظي أن يسوع وعروسه يبدوان وكأنهما متصلان عند الورك، ثم يبتعدان عن بعضهما في الطرف العلوي وكأنهما بهذه الوضيعة يرسمان شكلاً واضحاً إلا وهو الكأس .رأت صوفي شكل v الواضح تماماً في مركز اللوحة بالضبط قبل حتى أن يمرر قليل كناية عن الكأس المقدسة، القدح رحم الأنثى."وأخيراً قال تيبينج "إذا نظرت إلى المسيح والمجدلية بأعتبارهما عناصر تركيبية لا علي أنهما شخصان، ستجدين أنهما يكونان شكلاً أخر أكثر وضوحاً " . صمت لحظة"وهو حرف من حروف رؤيته في اللوحة.كانت الخطوط التي تشكل حرف M عملاقة دقيقة إلى حد لا يترك مجالاً للشك، وكانت ساطعة في مركز اللوحة بشكل يعمي الأبصار تصرخ بصوت عال لتلفت نظر المشاهد إليها ."ألا تعتقدين أنها شديدة الوضوح والتناسق لدرجة أنها لا يمكن أن تكون هناك بمحض الصدفة؟ " سألها تيبينج.لكن صوفي كانت مذهولة " . لكن ما هو القصد وراء رسمها هنا ؟ ".هز تيبينج كتفيه وأجابها " . إذا سألت الباحثين الذين يقولون بنظرية المؤامرة فسيجيبونك بأن ذلك الحرف يرمز إلى كلمة ماتريمونيو— زواج — أو مريم المجدلية. ولكي أصدقك القول، لا احد يعرف الإجابة علي ذلك السؤال بشكل أكيد. لكن الحقيقة الوحيدة المؤكدة هي أن وجود حرف M بشكل مخفي في تلك اللوحة،لم يكن عن طريق الخطأ، هذا بالإضافة إلى انه كانت هناك أعمال كثيرة جداً ذات صلة بالكأس المقدسة أحتوت علي حرف M بشكل مخفي سواء كان ذلك كعلامة مائية أو بشكل مخبأ تحت

اللوحـات أو كإشـارات مبتكـرة لا تظهـر للنـاظر إلا إذا دقـق فيهـا . إلا أن أوضح M بلا منازع هي تلك التي تزين مذبح كنيسة سيدة باريس في لندن، والتي صممت علي يد زعيم كبير سابق لأخوية سيون، وهو جان كوكتو "فكرت صوفي للحظات في المعلومات التي سمعتها لتوها " إنني اعترف أن حروف M المخفية تثير الفضول والدهشة، إلا انه من غير المعقول أن يدعي أي احد أن ذلك يعد دليلاً دامغاً علي زواج يسوع بالمجدلية "." لا لا نهائياً "، قال تيبينج وذهب نحو الطاولات المليئة بالكتب.." كما قلت لك سابقاً ،أن زواج يسوع ومريم المجدلية هو جزء من حقيقة وسجلات تاريخية"واخذ ينبش في مجموعة الكتب التي كانت بين يديه " . علاوة علي أن يسوع كرجل متزوج هو آمر منطقي أكثر من فكرتنا الإنجيلية التقليدية التي تقول أنه كان عازباً " لماذا ؟" سألت صوفي." لان يسوع كان يهودياً، قال لانجدون وقد استلم دفة الحديث عن تيبينج الذي كان يبحث عن كتاب يريده لصوفي ،" وقد كان العرف الاجتماعي في ذلك العصر يحرم تماماً علي الرجل اليهودي أن يكون أعزباً، كما أن الامتناع عن الزواج كان ذنباً يعاقب عليه بحسب التقاليد اليهودية ، وكان واجب الأب اليهودي أن يجد زوجة مناسبة لابنه، فلو كان المسيح أعزباً ، لكان ذلك قد ذكر في احد الأناجيل وتم تفسير حالة عدم زواجه غير المألوفة علي الإطلاق- عثر تيبينج علي كتاب كبير وسحبه نحوه من فوق الطاولة. كانت هذه النسخة من الكتاب: الأناجيل الغنوسية. فتحه تيبينج بحماس، وانضم إليه لانجدون وصوفي. لاحظت صوفي أن الكتاب كان يضم بين دفتيه صوراً بدت كأنها مقاطع مكبرة لوثائق قديمة أتضح أنها أوراق بردي ممزقة تحتوي علي نص مكتوب بخط اليد. لم تتمكن من التعرف علي اللغة القديمة، إلا أن الصفحات المقابلة

حملت ترجمة مطبوعة لتلك النصوص." هذه صوراً للفائف البردي التي عثر عليها في واحة نجع حمادي وفي البحر الميت؟!"]

توقفت عن القراءة فهناك ابجديات كثيرة لا أفهمها ؟! فماهى نصوص نجع حمادى ؟وماذا فى لفائف البحر الميت؟!ومامعنى الأناجيل الغنوسية؟

إنكسرت أشعَّةُ الضوءوشعرت بِهَا وكأَنَّهَا واقفَة بجسدها الْفارغ الْممتلئ بلا ترهل رائحتها فِي عبق الْمكان،أهي حقيقَة أم رغبَة لا تكف عن الْمثول، أشعر بأصابعي بين أصابعها فِي عناق حارٍّ!! كنت توقفت بالرواية عند : (قال تيبينج: أنها السجلات المسيحية الأولي، والتي لا تتوافق معلوماتها للأسف مع الأناجيل التي جمع منها انجيل قسطنطين،قلب صفحات الكتاب حتى وصل إلى منتصفه ثم أشار إلى احد المقاطع " أن انجيل فيليب هو دائماً أفضل واحد نبدأ به ".قرأت (صوفي)المقطع الذي أشار إليه ورفيقة المخلص هي مريم المجدلية، أحبها المسيح أكثر من كل التلميذين واعتادأن يقبلها في معظم الأحيان وقد تضايق باقي التلميذين من ذلك وعبروا عن استيائهم. وقالوا آه ،" لماذا تحبها أكثر منا ؟".لقد فاجأت تلك الكلمات صوفي، إلا أنها لم تكن تبدو مقنعة." أنها لم تأت على ذكر الزواج نهائياً "بالعكس" قال تيبينج بالفرنسية ثم ابتسم مشيراً إلى السطر الأول ". إذا سألت أي عالم باللغة الآرامية فسيقول لك أن كلمة رفيقة في تلك الأيام كانت تعني حرفياً الزوجة)

(٢)

حيث اقعد، توجد حجرية كبيرة عليها حكاية أسطورة " الكأس المقدسة " أنها الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي ليجمع فيها دم المسيح التي تساقطت من جسده على الصليب. دونت الأسطورة في شكل قصيدة غير كاملة عن طريق الكاتب الفرنسي Chrétien de Troyes) الذي ادعى أنه أخذها من كتاب حقيقي أعطاه له رئيسه الكونت Philip of Flanders.

شعرت بِهَا المغربية السمراء ،وكأَنَّهَا واقفَة بجسدها الْفارغ الْممتلئ بلا ترهل، رائحتها فِي عبق الْمكان ، خمرية متوهجة ،كانت تعرف أني أُعْجِبتُ بِهَا سَعَيْتُ إليها .. فرفضت أن أكون عاشقًا مهزوما!

جذبتْني فِي حركَة عُهْر حقيقيَّة؟!

قالت: دعك من.. الأهوت، وتمتع بالناسوت، اللّيْلَة.. استَقْبِلنِي، وسأريك كيف يضيىء عقدى الحجرى فى الظلام؟!

قلت : أنا متزوج ؟!.

قالت: استلذّ مغامرَةَ الْمرأَة الشّرعيَّة، والْمرأة الْمرغوبَة؟!!

قلت: لا يفعلها إلا يس أبن السيد عبد الجواد فى ثلاثية نجيب محفوظ

شرِبْنا فِي نخب (يس) عبد الْجواد،راجعنا الْمشهد،معًا...فهي قارئَة جيدَة لما يكتبه محفوظ،والغيطانى،واللبنانيات من "الأديبات".النساء هي،تستعيدالرِّوَايَة،وأناأستلذ الْفيلم ـ فهى التلميذة المقربة من(فاطمة

المرنيسى ـ استاذة الأدب والإجتماع المغربية) ـ (ففى بين القصرين): (أخذ عبد الْمنعم إبراهيم"يس"، ناديَة لطفي"زَنُّوبَة الْعالْمَة"،وهو سكران طينَة فِي حنطور ودخل بِهَا على زوجته فِي منزل الزوجيَّة – لم يجد مكانًا آخر؟ـ قِلَّة الْحيلَة– استيقظت زوجته ؟! ترك الزوجَة والعشيقَة معًا فِي عراك !!) ...

قالت: عندي عزف بالفرنساوي على نفس الْمنوال ولكنه حقيقَة لا روايَة خياليَّة،انه،ما فِي مذكرات(برجريت باردو) قارورة السينما الفرنسية أو"ب.ب" كما اشتُهرت،كم هو غريب عالَم نجمات السِّينِمَا!!) هو فضائحها مَعَ الرِّجَال ،فبعد طلاقها من زوجها فاديم غرقت فِي علاقات،مَعَ الرِّجَال فوقعت فِي حُبِّ (جان لوي ترينتيان) الذي كان يشاركها بطولَة فيلم(وخلق الله الْمرأَة) بل إنه،انتقل للحياَة معها وترك زوجته، ثم تعرفت على الْمُغَني (جيلبرت بيكو) وشاركتْه استعراض رأس السَّنَة وتعترف بسهولَة أن قلبها وفراشها قد جمع بين الاثنين!! وأدى ذَلِكَ إلَى هجر(جان لوي) لها بعد أن ضبطها مُتَلبِّسَة مَعَ الآخر!! وحينما عرفت أن الْمُغَني بيكو يحب علَيْهَا أخرى جُنَّ جنونُها، وانتحرت ولكنَّها أُنْقِذت بأُعْجوبَة، ولم تتعلم مِمَّا حدث لها،فارتبطت بالْمُغَنِّي (ساشا) لتغيظ بيكون، وكان ساشا فِي بداياته، فاتَّخذها سُلمًا لِيَصِل للشُّهرَة؟! ولكنَّها كعادتها فِي الْجمع بين الرِّجَال والسقوط فِي حب أبطال الأفلام الَّتِي تشارك فيها وقعت فِي حب (جان شارييه) وبنفس الطريقَة اكتُشِفَت هذه الْعلاقَة الْجديدَة؟!

قلت: إنها"ياسين عبد الْجواد– الأنثى

قالت: بل هى السيد عبد الجواد نفسه،الأمرعادي،راجع،الْقانون الفرنسى!! إِنِّي أعرف من يجمع بين أكثر من واحدَة.. كان هُنَاكَ عصرٌ يجمع فيه الرِّجَال الْجواري والإماء وما ملكت أَيْمَانُهم، الْعصر الآن يقبل الْعشيق ويقبل الْعشيقَة لا مفر من الإحتفاء بالجسد بدلا من قمع رغباته..العصور تُوجِدُ لنفسها تِقْنيَّة سرِّيَة بأشكال متعددَة لتجديد الْغرام؟! فيبدوأن هُنَاكَ ثَمَّة حركَة بين الرِّجَال والنساء، تلعب فِي حياتنا ما تلعبه قوَّة الْجاذبيَّة.. كان شوقها فى آخره..قامت فجأه..قم بنا ؟!

سألت إلى اين؟ بصراحة حيرتنى اجابت: حين لا تجد المرأة رجلا ضارب الدنيا صرمة مثل يس، تقوم بنفس الدور..أنا ادعوك للعشاءعندى. قامت وسحبتنى وأنا منوم بجرائتها ؟!

قلت : آهى..عقدة (ب.ب) قارورة فرنسا. عند المغاربه ؟!

اجابت: بل..عقدة (س.س) عندالمصريين عقدةسى السيد أنها المكان،المسألة مجرد مكان؟ فأنت راض تماما،بل متمنى،الأمانى تتجسد،جملى الصحراوى اتريد خيمة؟ داخلي يهمس،هل تهزم امرَأَةُ الْعزيزهذه اللَّيلَة؟! أنا مسحور، ذائب وهِيَ تضع رِجْلَيْها فِي الْماءوتتكحَّل؟! والوقت بين النَّشوَة والغثيان؟ أشم رائحة النبى يوسف !

(٤)

جـــــاءالجزائرى "بورحـــــاب" .استقبلنى،باهلاًمســـــــيو،وبدأت حكاياتة.فهو متحدث لبق،ويخلط الفرنسية بالعربية كلما ضاع منة المعنى العربى يرتعش وهو يتحدث فى حيوية وهو ضخم الجثة نوع ي من البشريقول عنة العقاد (يرى ماشيا كانة راكبا)!!.. ينتقل بنا من سرالرئيس "فرانسو ميتران" الذى اكتشف له خليلة عرفها من عشرين عاما وانجب منها طفلة؟. . إ لى اليمنى "حسان التعلبى" الذى جاء معه بالقات! ولكنة لايجد وقت "القيلولة" "الحار" للتخزين" فاضربت احوالـــة؟! إلى الصــراع علـــى الجزائـــر بين،الشـــيوخ والجنـــرالات (ديسمبر ١٩٩١ـ يناير١٩٩٢)؟! وكيف هرب من الموت هناك،

اقول ـ أتريد قهوَة؟

فيغرد بصوت اجش " يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة. ؟!

تقول : إلا القهوة أنها مشروب المنازل ،الصينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش" وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. فإذا رفعت الْفنجان ترشف الْبن.المر تتناول معها التّمر.وإذا احتجت الْماء. رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف للماء الْورد

يرد الجزائرى : آهى قهوة أم هوى؟ إنهم بالمغرب يشربون قهوة اسمهان!!

حدثنا عن رواية (النبطى) التى أعارنى إياها،وبدى أنه يستعد لجلسة طويلة..كان داخلي يَهْمِس هل جاء سيِّدُها بالْباب؟! ففي فرنسا

لا يتدخل أحد. وهِيَ سيِّدَة الْمواقف..امرأَة بلا زوج، ولم تصبح أُمًّا،وأشْعَلَ حُبَّهَا رغبتُها. داخلي يهمس لا توجد محاذير فِي الْقانون الْفَرَنْسِي؟! ولا ثغرَة .. راجعته وهو فِي حالَة الرِّضَا يترك الأمر!! الْقَدَر يعمل إرادته..فهل يَضُرُّ فِعْلٌ مَعَ إيمان؟! فهل نشاء إلا ما شاء اللَه؟! أيُسعِفني الأشَاعِرَة..أم يُدِينُنِي الْمُعْتَزِلَة؟! أمكتوب فِي الأزل الْغيبي ..أم النَّص الْمُقَدَّس بافعل ولا تفعل؟! لم يكن ممكن لآدم أن يعمل بالأمر..والْمشيئَة كتبت أن تكون حياتُه بالأرض؟! يا لها من إشكاليَّة مَن يُنْشِئ الأفْعال؟!

نظرت لى..لأنهى الموقف،لكنى خذلتها،بأستقبال..حوار(بورحاب) ببراح،قامت منصرفة،إنها امرأة تفرد كل ما عندها. تلبس كل ما عندها. وتقول كل ما تعرف..

اما النبطي الذى تحمل الرواية اسمه فهو الأخ الأصغر لسلومةزوج مارية أطلقوا عليه هذا الاسم منذ الصغر على الرغم من أن عائلته وقبيلته جميعاً من الأنباط. والنبطي شاب جميل يخلب لب مارية منذ أول يوم تشاهده؛ في أثناء خطبتها، وتتمنى لو أنه هو الخاطب. وسيستمر نوع من الود المتوهج الغامض بينهما،حب تختفي جمرته المتقدة تحت كتلة كثيفة من رماد الأعراف والتقاليد والمخاوف.

يقول النبطي أنه يسمع نداءات من السماء، غير أنه لا يدّعي النبوة.. له دينه الخاص.. وله صلته الشخصية العميقة مع صورة لإلهين يلهمانه. صورة ماثلة بقوة في ذهنه. وهو مثقف بمعايير زمانه، يمارس سلطة الكلام، ويجيب على أسئلة الآخرين وبين الحين والآخر يذهب إلى جبل إيل في سيناء يصغي بخشوع لكلمات إلهه.

قال من بجانبى: إنها فتنة يصنعها زيدان بين حين وآخر. فهو يقرص الإسلام فى"النبطى"،كما قرص المسيحية فى'عزازيل' ليحقق لنفسه الحياد وبناءً على "شفويّات"روائيّة تحتاج إلى تمحيصٍ شديدـ بأنها مواقف محايدة من التاريخ ـ على فرض التسليم بدعوى الحياد تلكـ لأن التاريخ هنالك متداخلٌ بالدِّين، بل إن الدِّين هو الذي صنع ذلك التاريخ والأحداث. كأن(زيدان) يتناغم بسلسلة رواياته تلك مع الحرب الفكريّة على الأديان؟ نظرت للجالس بجوارى الجزائرى الملتحى،البشوش فى بدلة كاملة وفى يده سبحة يحركها دوماً..

قلت: لا أجد ذلك فيما قرأت؟! ..

قال: لا تجيد التركيز،أولعلك لم تصل فى الصفحات لما اقول.

قلت : أنا بالفعل اجرى وراء "مارية" ولا أعطى لغيرها اهتمام.

طلب الرواية منى وقلب صفحاتها...وطلب منى القراءة وجدت فى الصفحات التى أختارها : (...مع حاطب امرأتان منكم،خائفتان،وهويريدأن يؤنسهما بكِ أخذهمامن الدوق هدية للنبى القرشى؟..فسألت: وماحاجة النبى بالنساء؟! فصمت. ردعميرو: أنبياء العرب يحبون النساء.. قال زوجى ساخرا: فما بال عمك النبطى يزعم أنه نبى وهو لايحب النساءً) وصفحة آخرى بالرواية(جاؤوا له برِقاع مكتوب فيها (قرآن المسلمين)، فنظر إليها طويلاً، وجال ببصره في السهول البعيدة، ثم قام وهو يقول، وكأنه يحادث نفسه: "يأتي بهذا، ويُسيل الدِّماء" ؟!")

قال: النصّ بالرواية يسوقه زيدان حول ما جيء إلى النبطيّ به من قرآن، قال عنه ما قال معرِّضًا الراوي بالرسول وبحركته، متباكيًا ضمنيًا على ما حدث لليهود. كأنه لا يعرفـ كما يبدو وهو المهتمّ بعلم

التـاريخ ومخطوطاتهـ الحيثيـات التاريخيّـة وراء مـا حـدث لليهـود في الجزيـرة مـن تهجيرٍ،أن خطـاب الروايـة العـامّ ظـلّ ينضـح بإشـاراتٍ سـلبيّةٍ حيال الإسلام والمسلمين،وحول الحـركـة التاريخيـة الـتي أحـدثها الإسـلام في جزيـرة العـرب وخارجهـا،.ولعـل مـن الشـواهد الدالّـة علـى مـاأزعمـ وستتذكرها معي:

_ أن(سـلّومة) وهـو ذلـك النّبَطـيّ السِّكّير، الـذي تـزوّج بـالقبطيّـة (ماريّـة) وكـان، فيمـا يظهـر، علـى الـدِّين المسيحيّـ مـا أنْ أَسْـلَمَ، حتـى انقلـب حالُـه، وتحوّلـت طباعـه، وصـار تـاجر حـربٍ، وخيـولٍ، وبَشَـرٍ، مـا أنْ أَسْلَمَ، حتى استولّى على بيت زوجتـه في مِصْر، وعلـى مالها الـذي أودعتْه لديه، لولا شكواها لأخيه النّبَطي(الهودى)، فأعاد إليها بعضه.

_ حتى(عميرو)،ذلـك الصبيّ الـوادع المسالم، أَسْلَمَ فصارت العصا (الشومة)، لا تفارق يده. وتحوّل إلى شخصٍ عدوانيٍّ؛ ضَرَبَ بعصاه سِنانَ اليهـوديّ؛ حـين غضـب سِنان لـرَفْس فَـرَس سلّومة ابنَـه فتسبّبت في قتلـه يخاطبه عميرو بفوقيّة، قائلاً: إن عليه أن لا يرفع صوته على"أسياده"! ..

وأضـاف: كـأن الاسـلام بحسـب الروايـةـ سـببًا في تشـريد الأنبـاط مـن ديـارهم في شمـال الجزيـرة، مسـلمين ويهـودًا ومسـيحيّين ووثنـيّين،في هجـرةٍ إلى مِصْر. ولا يبـدو مستسـاغًا تبريـر هـذه المضـامين. أسـوأ أشـكال الرواية (أدبًـا) بـثّ منشوراتٍ ومخطوطـاتٍ طائفيّـةٍ أو دينيّـةٍ أو أيديولجيّـةٍ، تحت أيّ توجّه. وبـذاك فـإن مـا لا يجـرؤ بعـض الكتـاب علـى أن يمـرّروه مـن خـلال كـتبٍ باتوا يَزُجّونـه مـن خـلال روايـات منـذ "اولادحارتنـا " لمحفـوظ؛

لكي يقول أحدهمـ حين يُساءلـ أنا بريء، لستُ أقصد شيئًا، إنما كنت أكتب رواية ؟!

اقول لـه فـى تنـدر: أبعـد ألـف ليلـة، واولادحارتنـا لايـزال المسلسـل مستمر؟!..

وجـدتُ الْفَرَنْسِيَّة مـرَّة أخـرى أمـامي لا أعـرف كيـف تظهـر لِـي؟! إنهـا فِـي لهوجَـة دائمَـة جـاءت لمنضـدتي؟! وجـدت السجائر،وشعـالَة النَّـار الْقديمَـة، أخــذت واحــدَة دون اسـتئذان! قالــت: منتــول، نعنــاع .. ألا زال موجــود هَـذَا التّبــغ السـيئ!! .. أطفأتهـا .حشـر بورحـاب رأسـه معهـا .. بفرنسـيته الجزائريــة مضــى ينقــد روايــة النبطى،فجلســت الفرنســية مستمعة؟!

بورحـاب: أن يكـون المؤلـف مؤرخـاً فعليـه أن يثـق في التـاريخ الـذي يكتبـه، أمـا أن يكـون روائيـاً فعليـه أن يكتـب مـايثق فيـه،و د."يوسـف زيـدان" مؤرخـاً بـروح روائـي، وروائـي بقلـم مـؤرخ، فعشـق الوقـوف بـالعتبـات، عتبـات الأزمنـة قبـل عتبـات الأمكنـة، فوقـف في عزازيـل عنـد عتبـة الـدين المتحـول لسلطة تقهـر حريـة الاعتقـاد واختـار الأرثوذكسية المصرية لتكـون حجـر تلـك العتبـة عنـد مدينتـه الإسكندرية، ثـم جـاء بعتبتـه الثانيـة في روايتـه الحديثة "النبطي" ليقف علي عتبة زمنية أخري، عند تلـك اللحظة التي خرج فيها الدين الإسلامي من جزيرة العرب لفتوح البلـدان، وعلـي حـدود الجزيـرة العربيـة قبيـل فـتح مصـر بـدقائق تاريخيـة، علـي نحـو أعـاد فيـه تقييم التاريخ عبر رؤيتـه كمـؤرخ يعبر عـن رأيـه روائيـاً، فجـاء التـاريخ في نبطيه محدثاً ثورة علي التقاليد التاريخية

قالت الفرنسية: أنه المذهب التفكيكي للرواية، القلقلة العنيفة للقواعد الفكرية المستقرة في التاريخ واللغة، وقال به أنصار النزعة التفكيكية، "جاك دريدا"(١٩٣٠-٢٠٠٤م)، و"فوكو"(١٩٢٦ ١٩٨٤م)، و"بول دي مان"(١٩١٩ ١٩٨٣م).اعندكم روائي عربي يصلح لتطبيق قواعد ما بعد البنيوية علي إبداعه، لم يفعلها على ما أعرف إلا (دان برون) التفكيكي المتطرف الذى ينتقد الأفكار المثالية المعتمدة، والراسخة في الثقافه، فعل بالمسيحية الأفاعيل؟!

الجزائرى : مازالت تسيطر علي"زيدان" أصداء رواية "عزازيل" حيث يعيد في "النبطي" وصل الأحداث التي وقعت للفكر المسيحي المستنير في شخصية "الأب باخوم"رمز العلمانية المسيحية،ورأيه في حقيقة صلب "المسيح"، حيث يقول علي لسانه:" إن الرومان كانوا يصلبون علي عمود خشبي ليس له شكل الصليب" ص٥٩، كما أن "الأب باخوم" كان يحتفظ بمخلاته بنسخة من إنجيل يهوذا، ويصور "زيدان" في شخصية"باخوم" رجل الدين العلماني المحب للفن، والرسم، ولبراءة الأطفال، وموقفه من الصراع مع الكنيسة الرومانية في البلدة البيضاء، أتباع خلقيدونية،لقد فعل كماتقولين الأفاعيل ولكن بالإسلام...لأن"زيدان" يشكك أصلاً في رسائل النبي صلي الله عليه وسلم، والتي ثبت تاريخياً انه أرسلها إلي "المقوقس" حاكم مصر، فيقوم بقلقتة للثابت في التاريخ علي نحو آخر، من أن الذي أهدي النبي صلي الله عليه وسلم الشقيقتين"مارية"، و"سيرين" ليس "المقوقس"، حيث يلتقي "سلومة" التاجر النبطي بقافلة "حاطب بن أبي بلتعة" وهو في طريق عودته إلي مصر ومعه هدية الحاكم الروماني إلي النبي صلي الله

عليه وسلم، ثم تمر سنوات، حدث خلالها فتح مكة، وإنجاب"مارية القبطية" ل"إبراهيم"، ليعلن "زيدان" فجأة أن الرومان جلبوا من جهة القوقاس أسقف ملكاني رهيب ليحكم مصر، ويشيع الرعب في قلوب اليعاقبة الفقراء، اسمه"قيرس"ويسميه الناس"المقوقس"، بيد أن الثابت تاريخياً أن شخصية"المقوقس" كانت علي مسرح الأحداث من قبل ظهورها عند"زيدان" بسنوات طويلة، فتذكر الباحثة"بتشر" أن كلمة"مقوقس" معناها الأفخم في اللغة الرومانية، ظنها العرب جزءً من اسم "جرجس بن مينا بن كوبوس"، المصري، والي مصر غير العسكري، وبقي في وظيفته بعد فتح العرب لمصر، فقد خلط"زيدان" بينه وبين"كيروس" حاكم مصر الوسطي

ينظر لى ويقول : لقد مس تاريخ المصريين بشرر (**يتعرض"زيدان" في ثورية بالغة لكيفية فتح العرب لمصر؟ علي نحو مخالف للثابت عند"السيوطي" في حسن محاضرته، وعند"البلاذري"، وعند"ألفرد بتلر" في "فتح مصر"، فقد شُغل جميع المؤرخين بقضية هل تم فتح مصر عنوة؟ أم بالاتفاق؟ فجاء فتح مصر عند "زيدان" علي نحو خارج نطاق تلك القضية ذات الحدين، فجعل فتح مصر تم بالخدعة، و يفتعل واقعة تاريخية بعيدة عن الواقع حيث جعل اليهود يستجيبون لطلب المسلمين في الهجرة إلي مصر لكي يمهدوا لأمراء الحرب دخولها،**)

إنصرفا معا ؟! شاهدتها تباطئه بعد أن أخذت شنطه يدها من فوق المنضدة،كان العرض لا يزال مستمراً من شنطتها الحمراء المكتوب عليها بالفَرنْسِيَّة : لماذا لا تفعل ما أراه فِي عينيك..؟!

porquoi tu ne faites pas quelle est dans votre yeux

فبورحاب من الرجال ،الذى يفضل الجلوس مع الذكور،فإذا وجدت الأنثى ؟! لعن ابوخاش الذكور!!

اعـود للروايـة بعـد سـرحان فكـرى.،تعقـد الموقـف وسممـت الرواية،القراءة الأن بعيون الرقيب، بوليس الشك دخل بدون اذن نيابة غرفة الرواية يفتش محتوياتها ويتلصّص على أسرارها، وأدراج خزائنها، وألبـوم صـّورها، ورائحـة سـريرها، ومـرآة حمّامهـا.لتصبـح قضـية تجسـس بدلاًمن بهجه وقت؟!

(يـروي"زيـدان علـي لسـان بطلـه"النبطـي" العائـد مـن العـراق، أنبـاء تعكس رؤيتـه للصـراع بـين القبائـل العربيـة علـي نحـو يمـزج بـين الـدين وكونه غطاء للصراع القبلي العصبي، حيث قبيلة"تغلب" وهي واحدة من أقـوي قبائـل العـرب تـود لـو تأكـل العـرب، ولكـنهم يحتـاجون إلـي نبـوة كسـتار ليحـاربوا تحـت رايتهـا، حيـث عـادت إلـي بـني"تغلـب" قـوتهم بعـد هـزيمتهم في حـرب"الباسـوس" التاريخيـة، واتحـدوا مـع بـني بكـر أبنـاء عومتهم، حتي إنهم عرضوا علـي"النبطـي" أن يكون نبـيهم، وسـيؤمنون لـه، إذا قال في الحرب وحياً يدعو إلي القتال)

وهنـاك تلميحـاً مـن "زيـدان" إلـي الآيـات القرآنيـة الـتي نزلـت في القتـال، وكانـت مبررا ً لحـروب قـريش لبقيـة القبائـل العربيـة، كمـا انـه كان حريصاً علي إضافة "القرشي" إلي اسم"النبي" صلي الله عليه وسلم، ولكـن النبطـي اعتـذر لهـم لأن نبوتـه لم تكتمـل، فقـاموا بطـرده، وسـبه، واهانته، بعد أن كان نبيهم المأمول ص٣٢٥)

خاصة (استفاضته في سرد وقائع المواجهات الدامية بين المسلمين واليهود، ورصده لجسامة حجم كراهية اليهود للمسلمين، حتي أن"سلومة" نهي"مارية" عن الخوض في حكي النساء هذا، عندما كاشفته بسؤالها عن سر هذا التحول في العلاقة بين اليهود، والمسلمين؟ !)

لا شك أن رواية"النبطي" تقدم تأويلاً جديداً للتاريخ،.. أقفل الرواية وأتصفحها بلا عناية،اصل للجمل التي تقفل بها (مارية) الرواية:

" كان النبطي مبتغاي من المبتدأ، وحلمي الذي لم يكتمل إلى المنتهى ما لي دوماً مستسلمة لما يأتيني من خارجي، فيستلبني.. أحجر أنا، حتى لا يحرِّكني الهوى، وتقودني أُمنيتي الوحيدة؟ هلأغافلتهم، وهم أصلاً غافلون، فأعود إليه.. لأبقى معه، ومعاً نموت، ثم نولد من جديد هدهدين."

(٥)

طاولتى قريبة من طاولة سيدة معها آخريات، فيما بدى لى أنها سعودية كانت تمسح بيديها على سائر جسدها بحركه سريعة بعدأن قرأت المعوذتين والإخلاص ثلاثا، مخافة الحسد، بصوت رائق مسموع،، .بقية من السعوديات معها ارتدين العباءات المخصرة والمطرذة مع لثمات تغطي ما بين الأنف والنحر،وتبرزجمال أعينهن المكحلة وعدساتهن الملونة.تصل سعودية جميلة صغيرة،فى وجهها قبول،محمرة الوجه والجسم وكانها خارجة من حمام مغربي، مع فتلة الوجه والحلاوة .ارتدت بنطالاً فضفاضاً فيه الكثير من الجيوب مع سترة ضخمة تخفي معالم الأنوثة منها،وطاقية بندانة خبأت تحتها شعرها.. فيهللن لها فى بشاشة وحبورويبدوعليهن لهفة انتظارشيئا ما؟؟ فتعاجلهن قبل جلوسها فى ابتسامة. بقولها : شريط الزفة ما زال عالقاً، هاانا ذي احطم الرقم القياسي ببلوغى الليلة السابعة بعد زواجى دون أن يمسسنى رماح حتى الآن ؟! مع أنى كنت على استعداد للتخلي عن نظريات امى بعد أول ليلة معه ولكنة .. وكانة مايبغى؟! وتكمل بالامس " ارتديت قميص نومى السكري الذي ارتديته مراراً قبل الزواج في أيام الملكة أمام المرآة في غرفتى مثيرة به إعجاب والدتى التي تذكر الله خشية الحسد، خرجت من الحمام لاجده نائماً ومع أنى أكاد أجزم بأنه تظاهر بالنوم بعد أن التقت عينانا للحظة خاطفة ، إلا أنى صرفت وساوس إبليس.؟!" يضحكن فى دلال ..

اتـذكـر.الروايــة السـعودية "بنــات الريــاض" التــى صـدرت عـن دار الساقي في بيروت، لكاتبتها /رجاء عبد الله الصانع وهي الرواية الأولى للكاتبـة اللافـت ان اسـم «بنـات الريـاض»، أسـتقي مـن أغنيـة للفنـان "عبدالمجيد عبدالله" تقول الكاتبة فى بداية الرواية : "نكشتُ شعري، ولطّختُ شفتي بالأحمر الصارخ، وإلى جانبي صحن من رقائق البطاطس المَرشوشة بالليمون والشّطة. كلّ شي جاهزللفضيحة."

ووصفها هذا يدلّ على استعدادها للمُواجهة بكلّ حدّتها... لتزيح الستار العميق الذي يختفي خلفه عالم الفتيات المثير في الرياض. تروي لنا على شبكة الإنترنيت قصص أربع صديقات لها إضافة إلى أم نوير التي كان بيتها ملتقى الصديقات الأربع ومسرحا لكشف اسرارهن. الرواية حداثية الفكرة أوالسرد؛ وهي في نفس الوقت قفز فوق التقاليد لتقدم ما هو خارج. حيث استخدمت رجاء الصانع تقنيات العصر عبر الشبكة العنكبوتية، وطرح (خمسين رسالة إلكترونية) أطلقت عليها «سيرة وانفضحت» والكتابة بصيغة ضمير المتكلم توحي بأن المتحدث هو المؤلف نفسه، وبما يصعب معه التفريق والفصل بين صوت المؤلف وصوت الراوي، لهذا تخفت الكاتبة رجاء الصانع وراء صوت الفتاة الراوية "موا" مخاطبةً جمهورقرائها

(سيداتي آنساتي سادتي).. أنتم على موعد مع أكبر الفضائح المحلية، وأصخب السهرات الشبابية. محدثتكم، «موا»، تنقلكم الى عالم هو أقرب الى كل منكم مما يصوره له الخيال. هو واقع نعيشه ولا نعيش فيه، نؤمن بما نستسيغ الإيمان به ونكفر بالباقي؟!) إننا أمام فضاء جديد للإبداع..لا هو سيري ذاتي،ولا واقعي سحري، إنه عالم فلسفته الخيال ويقدم لنا الإنسان الافتراضي واللغة الاجتماعية،وايضا

مصطلحات «التشات» و«الانكليزية» التي كتبت بالأحرف العربية ـ ولكنها ممتعة التنوع ـ وأما الفكرة فهي جديدة من حيث ارتدائها "الجرأة" وخلعها "النص التقليدي" والحكاية المألوفة لتغوص في عالم حديث لفتيات سعوديات من هذا العصر،تقول في وصف إحدى السهرات لتلك الصديقات التي سحبت عليهن وصف بنات الرياض "**وُزعت الشيش الجديدة في الخيمة لأن شيش الأب تنتقل معه حيثما يسافر. أعدت الخادمة الفحم وأخذت الأغاني تصدح وبدأ الجميع بالرقص والتعسيل ولعب الورق**، "وتركز قصة كلّ منهن في حياتها العاطفية وما عانته كل واحدة في مجتمع منغلق ،الاختلاط بين الجنسين مُحرّم، حتى إذا توفر في كلية الطب مثلا فإلى حد محدود جدا. وكل مَن تُضبَط برفقة صديق تُعاقب ويتعَهّد ذووها بالتّحفظ عليها... تقول مثلاً: " **في يوم الفالنتاين أو عيد الحب، ارتدت ميشيل قميصاً أحمر وحملت حقيبة من اللون نفسه، وكذلك بالنسبة إلى شريحة كبيرة من الطالبات، فاصطبغ الحرم الجامعي باللون الأحمر، ثياباً وزهوراً ودمىً. كان العيد أيامها تقليعة جديدة استلطفها الشبان الذين صاروا يجولون في سياراتهم في الشوارع مستوقفين كل فتاة جميلة ليقدموا لها وردة حمراء ملفوفاً على ساقها الرقم**" تقصد رقم الجوال؟! واستلطفتها الشابات اللواتي وجدن أخيراً من يهديهن وروداً حمراء كما في الأفلام". ثم تقول بعد ذلك: "يمنع الاحتفال بعيد الحب في بلادنا ولا يُمنع الاحتفال بعيد الأم أو الأب مع أن الحكم الشرعي واحد. مضطهد أنت أيها الحب في هذا البلد"...هذا الكبتُ الشديد كانت تُقابله الفتاةُ بالتعليقات الساخرة والمُنتقدة في الجلسات النسائية البيتية" تقول: "**قبل هبوط الطائرة في مطار هيثرو، توجهت سديم نحو حمام الطائرة وقامت**

بنَزع عباءتها وغطاء شعرها لتكشف عن جسم متناسق يلفه الجينز والتي شيرت الضيقان، ووجه بريء التقاطيع تزينه حمرة الخدود الخفيفة "البلاشر" وقليل من الماسكارا ومسحة من ملمع "لب قلوس" للشفاه".

وتحكي الرواية عن أربع فتيات جامعيات"بنات الطبقة الثرية بالسعودية": سديم، قمرة، لميس، ومشاعل (ميشيل) كما تنادى؛ لكون والدتها أمريكية. وتبدأ الرواية بموقع إلكتروني ورسائل للمجموعات البريدية تتناول فيها فتاة مجهولة أحداث حياة كل منهن وما فيها من أمور شخصية. الرواية تمحورت في معظمها حولَ حياة الفتيات العاطفيّة والقيود التي تُكبّل الفتاة السعودية في علاقاتها بالرجل، هذه الفتاة التي تحاول التمرّد على مجتمعها بالإلتفاف على محرماته بمختلف الأساليب، ولكن حتى يتحرّر المجتمع يجب أن تتحرّر عقلية الرجل أوّلا. صحيح أنّ الكاتبة تعرّضت لقضية رفض وظلم الأغلبية السنيّة للأقلية الشيعية في المملكة وتكفير أتباعها واستنكار كل علاقة بأيّ منهم"كانت قمرة وسديم تُحذرانها من طعام الشيعة، فهم يُنَجّسون طعامَهم خفية إنْ عرفوا بأنّ سنيّاً سيأكل منه؟! ولا يتوَرّعون عن دَسّ السمّ فيه لينالوا ثوابَ قتل سنّي!!").. والشرطة التي أمسكت بلميس تجلس وزميلها في الجامعة "علي الشيعي" أخبرت والدَها "أنّ عقابَ علي سوف يكون اقسى بكثير من عقابها هي لكَوْنه من الرّافضة؟!"). لكن الواضح أنّ الرواية تجاهلت القضايا الأخرى التي لا بدّ وتُثير اهتمامَ أبناء المجتمع السعودي، ككل مجتمع آخر،كالقضايا السياسية والإقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية. فالكاتبة تَمركّزت في القضايا

العاطفية التي تُشكّل محورا مهما في حياة أبناء الطبقة الغنية."التي كما يبدو هي الشاغلة لها أكثر". وتاتى طزاجة النص وسخونتة "الحداثة" عبر حكايات البنات وهذا يقودني إلى المحور الأساسي في الرواية وهو اللامكان (شاشة الكمبيوتر) التي كانت البطل في النص، وتم إلغاء المكان المألوف في النص الروائي لصالح المكان الافتراضي الذي بدأ يتسلل إلى حياة الناس وبشكل لافت، وأصبح جزءاً من حياتهم، متجاوزاً تلك الأمكنة بكل أنماطها القديمة و محور الزمن في الرواية، فهو تابع لأزرار الإنترنت، شاخص لحركتها، وبعد كل رسالة، يتوسع المكان ليولد أماكن أخرى هي أعماق الفتيات وقدرتهن على تجاوز الخوف، هذا التجاوز اللافت هو نقطة ارتكاز أساسية للتعامل مع الموروث، وهذا هو الذي أثار ضجة في الوسط الاجتماعي قبل غيره انه الشات ،ولغة الشات عند البنات

(خليني أكلمك عن ستايل شباب الرياض بما إنهم يور مين إنترست : أول حاجة حيقول لك : ممكن أعرف إسمك ؟ انتي طبعاً ما تديلوا اسمك الحقيقي ، إما تديه اسم يعجبك أو تقولي لو سوري ما أبغي أقول اسمي . أنا عن نفسي أشتري دماغي وأقول أية اسم ، بس انتبهي كل واحد أديتيه أي اسم ! أنصحك تعملي زيي ، تسجليهم في دفتر علشان ما تتلخبطي ، أو تختاري اسم واحد ثابت ، بس كده أنا أحسو زهق ! بعد الاسم بكم يوم حيقول لك أنا معجب بشخصيتك وما عمري شفت زيك ، ممكن نتكلم بالتليفون ؟ حيطفشك وزن عليك وما حتوافقي طبعاً بس برضو حيديكي رقمو ! بعد كم يوم حيطلب صورتك علشان يبعث لك صورتو ، بس في الأخير حيمل ويبعتها من غير ما تبعتي لو حاجة . ساعتها ستي حتشوفي واحد من اتنين ! إما واحد

جالس ورا مكتب وماسك قلم ووراه علم السعودية ، أو واحد عامل فيها بدوي وجالس جلسة عربية على الأرض ومتلتم وواحدة من ركبتيه مرفوعة ومسند دراعو عليها ، وما ناقصو غير صقر على كتفوا ويطلع في برنامج مضارب البادية !)

النِّساءِ بالمكان منَ الْجِنسيَّات الْعربيَّة مُرْتَبِكَات بين السُّفُورِ والْحِشْمة، مع تدرُّجٍ مِزاجِيٍّ فيما يُظْهِرْنَ من الشَّعر،أخَصْلَة تكفي؟ أم حِجَابٌ لا يُظْهِرُه ؟! أوإِطْلاقُه على حُرِّيَّتِهِ لِلنَّسِيم ليقول آهاتٍ؟! الْفُرجَةُ والْبحْلقَةُ أكثرُ إِثَارَة ؟! اتذكر انى عرفت المكان منها اثناء مُحاضرَة: (أهميَّة نصوص الرَّأفَة وإيقاف التَّنفيذ فِي التّشريع الْعِقَابِي).. تحدثت باختصار عن نص م١٧ في مصر وكذا م٥٥ فِي إيقاف التَّنْفيذ . كانت تتدخل وتسعفني فتشرح ما أقوله إذا تطلب الأمر الإطالَة .. كانت لساني فِي غربتي ففرنسيتي عرجاء عَلَّق الْمُحاضر (جارودي مارسل): ليس الأمر متروك للقاضي فالْمحامي يجب أن يحثه فِي مرافعته ويتمسك بذلك فِي مُذَكِّرَة طَلَبَاتِه فالسُّلطَة التّقديريَة ❖ للقاضي هُنَا سُلطَة وَقائِع لا سُلْطَة مُطلَقَة. ولِذا فالعمل بالعدالَة يقتضي معرفَة علم الاجتماع وعلم النَّفس، وليس الْقانون وحده. فالأوراق الْجنائيَّة عندنا بِهَا خانَة لدراسَة الْحالَة تتحدث عن ظروف الْجاني بيئته، معتقداته فهِيَ تَهْتمُّ به قبل وقوع الْجريمَة، فنحن لا نشعر بغليان الْماء إلا فِي درجَة ١٠٠ فِي حين أن الْغليان قادم مُنْذُ درجَة ٩٨ ولو لأتفه الأسباب.؟؟ .. هل قرأ أحد روايَة (الغريب) لكامي ؟ إنّ الْقتل يأتي من مجرد انعكاس ضوء الشّمْس بقوَّة على عيني بطل الرِّوَايَة، إنه فِي حالَة غليان لا يعرفها النَّص، لأن النَّص الْقَانُونِي يتحدث عند وقوع الْفعل لا

قبله ولا بعده، بغير ذَلِكَ تُصبح أعمال الرَّأفَة ووقف التّنفيذ والاختيار بين الْحَدِّ الأقصى والأدنى للعقوبَة درب من التّخمين ؟!

أثناء ذَلِكَ تركت الدَّرْس، قالت لِي وهِيَ تنصرف: نتقابل فى الكاس المقدس؟! فلم تكن المحاضرات فى علومها ،ولكنا كنا نتردد على كل انواع الدرس بسهولة داخل الجامعة. كانت شُعلَة من سعادَة تحظى بحريَّة، وتذعن لسنن فوق مَدَاركي..

وقتها حين التقينا همست بأننا فى البقعة السحرية بفرنسا! وحكت لماذا ؟!"فهناك سلالة من الحراس لحمايتها دعوا أنفسهم حراس الهيكل بعد أن اختفى الكاس المقدس !!وكان يقال ان دم المسيح المتساقط من صلبة.. حملها الرامي فى كاس وذهب بها إلى بريطانيا وهناك أسس للعثور على هذه الكأس وعلى هذه القوة الاعجازية هدف فرسان الدائرة (فرسان المعبد) التي كونها الملك آرثر الذي حكم بريطانيا في نهاية القرن الخامس الميلادي وبداية السادس.وفي فرنسا انتشرت هذه الأسطورة بصورة كبيرة وكتب عنها الكثيرون في صورة رموز وألغاز وأسرار، وحولوا دم المسيح إلى نسل للمسيح والكأس إلى رحم مريم المجدلية، الذي حمل نسل المسيح، وزعموا أنه من المحتمل أن يكون المسيح قد ذهب بعد القيامة مع مريم المجدلية وأطفالهما، التي تخيلوا أنه يمكن أن يكون قد تزوجها، إلى ما يعرف الآن بجنوب فرنسا- حيث ما يتوهم انة هنا فى هذة المنطقة طبقا لخيال الكتاب- وأسسوا هنا بجنوب فرنسا سلالة ملكية تحمل دم المسيح المقدس، هي الميروفينجيان "Merovingian's،

أستسلم لسرد حكايات البنات وأنا اتلصص على السعوديات الجميلات ونبرات صوتهن العالية لم تجعل هناك اسرار؟! رسم خيالى تقارب بين الواقع والخيال وبدى سردهن الطازج يروق لى ... وبدأت الذاكرة تكتب خيالها منتحلة من رواية"بنات الرياض" عن (قمرة..وخطيبها "التنبل")ـ وهذا اسمة عند شلة البناتـ الذي اختاره أهلها لها وتزوجته: "تنهي قمره المسح بيديها على سائر جسدها بحركة سريعة.وصلت محمرة الوجه والجسم.لعريسها "وهى اول من تزوج من البنات" قمرة على طرف السرير، في غتها بفندق جورجونيه في فينيسيا . تمسح فخذيها وقدميها بمزيج مبيض،من الجليسرين والليمون أعدته لها والدتها، وقاعدتها الذهبية تملأ ذهنها ' لا تصيري سهلة ' التمنع في السر لإثارة شهوة الرجل.. نزعت ثوب زفافها وارتدت قميص نومها السكري الذي ارتدته مراراً قبل الزواج في أيام الملكة أمام المرآة في غرفتها ،. بعد أن تناولا العشاء في مطعم الفندق. صعدا إلى غرفتهما وبدأت تلاطفه على استحياء ، بعد دقائق من المداعبة البريئة صار هو المتحكم بزمام الأمور أغمضت عينيها بانتظار ما تتوقع حدوثه ، وإذا به يفاجئها بفعل لم يخطر لها على بال لقد قلبها على وجهها وركبها من الخلف! كانت ردة فعلها المفاجئة له ولها في حينها أن صفعته بقوة!! الفتاة الهادئة التي تزوجت شخصاً لم تره إلا بالرؤية الشرعية تبدأ حياتها الزوجية في شيكاغو ببرود وتنافر عاطفي، يجبرها الزوج على ترك الحجاب، ثم يأمرها بلبسه مرة أخرى لكونها بشعة بدونه! تكتشف خيانته مع فتاة يابانية ثم يفاجئها بالطلاق فتعود إلى الرياض"ص٢٠٠ لتقاسي من تعليقات الناس ومراقبتهم وحياة الوحدة حتى أصبحت على استعداد كما تقول :"أنا على العموم ما عندي مانع يجيني أيّا كان،

يجي نظيف، يجي وسخ، يجي محرول بس المهم أنه يجي! أنا مستعدّة أرضى بأيّ رجّال! مليّت يا بنات خلاص! ما باقي إلاّ شويّ وانحرف" .. و الفتاة الثانية فى الشلة.. سديم التى أحبت وليد، وعملت ما رغب منها بعد إلحاحه الشديد معتقدة أنّ لها التّمادي معه في العلاقة حيث أنها بحكم الشرع والمجتمع هي زوجته. لكن وليد بعد أن دفع سديم لمُضاجعته احتقرها وتركها،وقطعَ كلّ علاقة بها ممّا سبّبَ لها الألمَ والعذابَ والمعاناة طوال حياتها، "ارتدت في تلك الليلة قميص النوم الأسود الشفاف، الذي اشتراه لها، ورفضت أن ترتديه أمامه يومها،ودعته للسهر،في بيتها دون علم والدها، الذي كان يقضي الليلة، في مخيماً في البر، مع أصدقائه. الورد الأحمر الذي نثرته على الأريكة، والشموع المنتشرة هنا وهناك، والموسيقى الخافتة التي تنبعث من جهاز التسجيل المخفي، كلها أمور لم تثر انتباه وليد، كما أثاره القميص الأسود، الذي يكشف من جسمها أكثر مما يخفي، وبما أن (سديم) كانت قد نذرت نفسها تلك الليلة لاسترضاء حبيبها وليد، فقد سمحت له بالتمادي معها حتى تزيل ما في قلبه من ضيق تجاه تأجيلها لزفافهما. لم تحاول صده كما اعتادت أن تفعل من قبل، إذا ما حاول تجاوز الخطوط الحمراء،التي كانت قد حددتها لنفسها وله، في بداية أيامهم بعد عقد القران، كانت قد وضعت في ذهنها أنها لن تنال رضاه الكامل،حتى تعرض عليه المزيد من (أنوثتها)،ولا مانع من ذلك، في سبيل إرضاء وليد الحبيب، ومن أجل عين، تكرم مدينة. انصرف وليد بعد أذان الفجر كعادته، إلا أنه بدا مشتتاً وحائراً على غير العادة. اعتقدت أنه يشعر بالتوتر مثلها بعدما حصل. انتظرت (سديم) اتصاله المعتاد بعد وصوله إلى منزله، خاصة، وأنها بحاجة ماسة لرقته وحديثه بعد ليلة كهذه،

لكنه لم يتصل. لم تسمح (سديم) لنفسها بالاتصال به، وانتظرت حتى الغد، ولكنه لم يتصل أيضاً،قررت على مضض، أن تمهله بضعة أيام حتى يهدأ، ثم تتصل هي به لتستفسر عما به. مرت ثلاثة أيام و(سديم) (ما جاها خبر). تخلت عن ثباتها، واتصلت به لتجد هاتفه النقال مقفلاً، ثابرت على الاتصال به على مدار الأسبوع، وفي أوقات مختلفة، علها تنجح في الوصول إليه، ولكن هاتفه النقال ظل مقفلاً، وخط غرفته الثابت، مشغول باستمرار! ما الذي يجري؟ هل أصابه مكروها ؟ هل ما زال غاضباً منها إلى هذا الحد؟؟ حتى بعد كل محاولاتها لاسترضائه ؟ ماذا عن كل ما منحته إياه في تلك الليلة ؟ هل أخطأت؟ بأن سلمته نفسها قبل الزواج ؟ ويلاه ! جُن وليد ؟؟ أيعقل أن يكون هذا ما دفعه للتهرب منها منذ ذلك اليوم ؟ ولكن لماذا ؟ أليس هو زوجها شرعاً منذ عقد القران؟! أم أن الزواج هو القاعة الضخمة والمدعوات والمطربة والعشاء؟؟ ما هو الزواج؟ وهل ما فعلته يستحق أن يعاقبها عليه؟ ألم يكن هو البادئ بالفعل؟ ألم يكن هو الطرف الأقوى؟! وتصف الحال بينهما بعد أن قرر وليد الانفصال عنها، فتقول: " هل اعتقد وليد أنها فتاة "مجربة"؟ هل كان يفضل أن تصده ؟! هي لم تفعل أكثر من التجاوب! وهو الذى فعل كل شيىء!!

الفصل الثانى

(١)

علـى مسـاحَة كـبيرَة مـن أرض الْمعـارض الَّتِـي تقـع خـارج بـاريس يجتمـع الآلاف مـن الْمسـلمين الْقـادمين مـن أنحـاء أوروبـا وأيضـا أفريقيـا وبعـض الـدِّول الْعربيَّـةعلى مـدى أربعَـة أيَّـام ـ سنويًّاـ يلتقـون خلالهـا بالشخصـيات الإِسْـلامِيَّة مــن مختلــف الْـبلاد الأوروبيَّــة والإســلاميَّة يتحـدثون عـن قضاياهم الرَّاهنَـة وعـن إسـلامهم وفي الْوقـت نفسـه تكـون مناسبَة لمسلمي أوروبا..وفرنسا بشكل خاص للاطلاع على آخر الإصدارات من الْكتـب والأشـرطَة الْمُسَـجَّلَة الَّتِـي تشـرح وتُوَجِّـه وتـدعو إِلَـى التَّمسُّـك بالْممارسـات والتطبيقـات والتعلـيم الديني،وقـد تحـدد عنـوان الْمـؤتمر ليكون: "من أجل إسلام خاص بفرنسا"وهو الشِّعار الذي رفعته الْمنظمات الإِسْلامِيَّة فِي فرنسا مقابل الْفكرَة الأولى الَّتِي يتخوَّف منهـا الْفرنسيون وهِيَ "الإِسلام فِي فرنسا" حيث إن السلطات الْفَرَنْسِيَّة ترفض وجود إسلام فِي فرنسا مُنْفَصِلا وَمُنْعَزِلا عن الْمُجْتَمع الفرنسي لذلك اختار الاتحاد الإِسـلامي هَـذَا الْعـام أن يَكُون شـعاره موجَّهـا إِلَـى السـلطات الْفَرَنْسِيَّة فِي الأساس لكي يطمئنوا إِلَى أهدافهم فشعار هَذَا الْعام يدل علـى أن الاتحـاد لا يريـد من الْمسلمين فِي فرنسا أن يكونـوا منفصـلين عـن واقعهـم كـانـت فرصـة سـاقها الْقَـدَر (أربعَـة أيـام) للإطـلال علـى الْمسـلمين خـارج ديـار

الإسلام . هكذا أعلنت الْفكرَة لزوجتي بينما كان الهدف الأساسي هو خروجي من أزمَة تطوُّر الْعلاقة مَعَ الْمَغْرِبِيَّة، ابنَة مَرَاكِش، الَّتِي وصلت مشاعري نحوها بل مشاعرنا الْمتبادَلَة حدَّ الْعِشْق. كان هَذَا الأمر مؤثِّرًا على علاقَتِي بزوجتي ساد بيننا صَمْتٌ مُطْبق واستمر أكثر من أسبوع فقدت خلاله طريقي إليها، بل ضاع مني مفتاح مدينتها! الْحقيقَة أن هَذَا الْعشق الْجديد أدخلني مدن الأحزان.وانشغلتُ بحالي حتَّى لا يُؤَدِّي الأمر إِلَى وضع نفسي يَعُوق تَحمُّل الْغُربَة وانْشِغَالي بالدِّراسَة.(المغربية) فِي هَذَا التَّوْقيت استولت تماما على مشاعري، ولمَّا كُنْت فِي الْحُبِّ لا أعرف اللَّعِب على خمسين حبل، ولا الانتقال بين النِّساء ..

أصابني الْعطَب وتبيَّن لِي أنها لعبَة صعبَة لا أعرفها، أن أغير الأقنِعَة وأعيش الزَّيْف. كان الأمر صعبًا أن تكون شفتاي بين أربع شفاه، وأن أنتقل من حضن إِلَى حضن. كيف أعطي زوجتي حنان الخيانَة،وألعب سياسَة فِي الْعشق ؟! من الْواضح أني أحادي الهوى، ولكن كيف الصبر على واحدَة طُوَال الْعمر؟!

اجْتاحت صالاتِ الْعُرُوض هَذَا الْعام بجانب الْكُتب والْكاسِيتَّات اللافِتاتُ باللُّغَتين الْفرَنْسِيَّة والعَربِيَّة الَّتِي تتحدَّث عن الإسْلام، وتُطالْب بتبرُّعات لِبناء الْمَساجد خَاصَّة فِي باريس وضواحيها ؟! فكان التَّركيز أكثر على التَّبرُّعَات وفتح الْمدارس الإسْلامِيَّة خَاصَّة بعد تطبيق الْقانون الخاص بِمَنْع ارْتِداء مَا ينمُّ عن الانتماء الدِّينِي فِي الْمدارس،ومقصود به الْحجاب بالنِّسْبَة للفتيات وذلك بهدف إعطاء الْفتيات الْمسلمات الْفرصَة ليتعلمن بدون أن يضطررن إِلَى أن يخلعن

الْحجـاب وفِي الْمُقابِل صـدر قـرار سِيادِي لـ (دي فيلبـان) وزيـر الدَّاخليَّـة الْفَرَنْسِيـ بتعلـيم وتكـوين أئمَّـة الْمسـاجد فِـي فرنسـا فِـي (جامعَـة السـوربون) ويبلـغ عـدد هـؤلاء الأَئِمَّـة نحـو ١٢٥٠ إمـام مسـلم فِـي فرنسـا، وبرنـامج تـدريب الأئمَـة يقـوم أساسـا علـى تعلـيم اللُّغَـة الْفَرَنْسِيَّة،ومبادئ الْقـانون، والنظـام السياسـي الْفرنسـي، والتـاريخ الْفرنسـي، وثـاني خطـوَة تقـدم بِهَـا دي فيلبـان هـي تشـكيل رابطَـة إِسْلامِيَّة تكـون مهمتهـا تنسـيق وتنظـيم الْعلاقـات بـين الْمسـلمين فِـي فرنسـا والسـلطات الرَّسميَـة الْفَرَنْسِيَّة،ويكون مـن مهمتهـا أيضًـا تَقَبُّـل التَّبَرُّعـات والأمـوال مـن فرنسـا والخـارج لرعايَـة شُئون الْمسـلمين فِي فرنسـا بشـرط أن تكـون تحـت سمـع وبصر الدولة؟! وبذلـك يَكُون (دي فيلبـان) قد منـع تمويـل الْمسـاجد مـن الخـارج، وأوقف تأثير الدِّول الأخرى فِي شئون مسـلمي فرنسـا .واعلـن بـأن ذلـك لمواجهـة الارهـاب فهنـاك اسلاموفوبيا بـين الفرنسيين؟!وسـط كـل هَذَا الْمشهد الـدِّينِي تَأْتِي خـواطر مضْطَربَة، أُحـاول صـرفَها فـلا تُصـرَف! لم تكن من الشَّيطان بل من داخلي.. لم تبرح مخيلتيى:

" عنـدما أوشـكت علـى الـذِّرْوَة أخرجـت نفسـي لأنتهـي علـى بطنهـا أحاطـت خصـري بسـاقيها وهِـيَ تقـول :لا..لا.. ابـق.!!"ولكنـى اعتـدلت وقمت..فتأففت وقامت خجلة تستحم؟!! أأنـا الأوَّل أم مجـرد عـابر سـرير؟ هممـت مَـعَ نفسـي ..أحبُّـك، فمـا ذنـبي إن جـاءني حبـك فِـي شـكل خطيئَة؟!

ما أجمل ما حدث بيننا، ما أجمل الَّذِي لم يحدث، ما أجمل الَّذِي لن يحدث ؟! نحن لا نُشْفى مـن ذاكرتنـا. ففـى لحظَـة مـن أَجَلِّ مـا عـرف

الزَّمن رغم أنها مُعادَة وتحدُث فِي اليوم الْواحد آلاف الْمرَّات، فهِيَ الْمَعاد الَّذِي لا يُملّ، وما ينبغي أن يُمَل؛ فهو يَتضمَّن سِرِّ الْوجود الأعظم!

كانت قد نجحت لجذبى للبن المحوج فى بيتها ..جذبتنى للعسل على شرف رواية سلوى النعيمي "برهان العسل" والغريب انها ترجمت حديثا للفرنسية باكبر عائد مادى لكاتبة،لتسبق نوال السعداوى ونزار قبانى ؟!ووزعت بباريس ١٥ الف نسخة ووضع على الغلاف صورة امرأة عارية فى حالة انتظار بالوضع الفرنسى المعروف فى الجنس ؟! فهل الفرنسيون مهتمين بالجنس ولايزالون ؟! تقول البطلة فى الراوية:(هناك من يستحضر الأرواح، أنا أستحضر الأجساد. لا أعرف روحي ولا أرواح الآخرين. أعرف جسدي وجسدهم) رواية النعيمي لا تخفي تبنّيها لكل التجارب التي تعيشها بطلة روايتها، بل إنّ هذه البطلة توحي بأنها نسخة للمؤلفة

تقول حبيبتى المغربية الخمرية: هى قصتها ؟! اشم ذلك فى رائحة حروفها!

وما يهمنا هو أن سلوى النعيمي ترفع شعار نبش المكبوت والمسكوت عنه، وتنتقد ما تسميه "مجتمع التُقية" العربي الذي تقول إنه لم يكتشف بعد "أنّه لم يبق من الثالوث المحرم إلا اثنان: الدين والسياسة.. سقط الجنس من منخل الرقابة، أو إنّها وسّعت فتحاته، بل انها ترى ان العربية لغة جنس تبللها ؟! فى مواجهة ادباء الفرانكوفونية الذين رغم عروبتهم يكتبون بالفرنسية تحت حجة ان العربية لا تعرف كيف يكون الجنس ؟! يدفعها إلى رواية حكايتها مع «المفكر» الذي التقته في أحد المؤتمرات، والذي يحتل المساحة الأوسع في حياتها وجسدها.

تضحك المغربية وتقول: المفكر حقيقة ..فلسلوى نعيمى نص فى التسعينات "كتاب الأسرار" تتحدث فيه عن المفكر تحت عنوان (قيلولاة)

وقد قابلته فى مؤتمر عن المرأة كان يراوده عن نفسها بعبارة "مارأيك فى قيلولة؟".. فتضحك وتقول نعم ولكن وحدى.. ولكن فى اليوم الأخير بالمؤتمر مدت يدها ،وافسحت له مكاناً بسريرها ؟! كانت ترى الرغبة الجسدية معدية فهل لك فى قيلولة؟!

اقول: واين ظهيرة الشمس الحارقة بفرنسا ؟فالقيلولة تعبير زمانى عن وقت تكون فيه الشمس عمودية على الأرض،فيهرب الناس من اشعتها الحارقة بالنوم

تقول: اليس تعبير جنسى عن الشوق ؟عن شدة حرارة الرغبة؟!

[تبدأ الرواية من لقاء البطلة بـ «المفكر» " كان يقول لي النساء نوعان:المرأة الخسة، والمرأة الجمرة، وأنا أسأله بخبث، وهو لا يرد، بل يجذبني الى صدره وأرتمي عليه، ويقبل عيني وشفتي، وأنا أمص ريقه، ويحسس على بطني، وأفتح ساقي، ويدخلني عميقا ليحترق معي، أود أن أساله؟؟ والرجال كم نوعا ؟؟ وتنسيني متعتي ولذتي كل الأسئلة".]

تقول النعيمي في روايتها " برهان العسل ":["هناك من يعيش ويموت من دون أن يعرف طريق جسده وأجساد الآخرين.كم تكومت من تفاصيل الظروف كي أكتشف وجود المفكر ويكتشف وجودي، كي أراه ويراني؟كم تكومت من تفاصيل الظروف كي تكون لحظة الكشف الأولى التي قررت كل شيء؟ هذا كله أستطيع الآن أن أحركه في ذهني، حبة حبة كالمسبحة، ولكنني يوم التقيته كنت بعيدة عن إدراك خيطها الذي بدأ يلضم الحكاية، حكايتي؟ الآن، وأنا أعيد قراءة ما أكتب، يخطر لي أنني نسجت للمفكر صورة أسطورية، لا علاقة لها به. صورة تتناسى كل ما يجعل منه هو. قلت

له: كن، فكان كما خلقته أنا بكلماتي. هذه الصورة ملكي ولا علاقة له بها.
يخطر لي السؤال وأنا أعيد الآن قراءة ما أكتب]   ..

حين نبهتها بأنه لا تزال أشياء بيننا..لا يكفي أن يتعرى الْجسد للجسد ؟! وإنما يجب أن يتعرى الإنسان للإنسان ! ! قالت: اخلع خُفَّيْك فإنَّك بالجسد الْمُدَلَّل تطُوى.. قول قبلت بك عروس فترة وجودى بفرنسا،حلالاًوتمتع بى ؟!

كان يفضل أن تصده؟! هو لم يفعل أكثر من التجاوب!

استغرب حين قالت:الأمام على تمتع بامرأة من بنى فحشل؟! قرأت قوله تعالى :

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلّ لَكُم مّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنّ فَآتُوهُنّ أُجُورَهُنّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِن اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

الْهِمت النَّفْسُ الْفجورَ، فسبحان من ألهمها فُجُورَها وتقواها. أَيقظت حسي بالعُريْ الْمُبْهِج، الفائر، الناعم . .كل كُؤوس الْحياَة الْمُتْرعَة بخَمْر الأحزان والأحلام، نشوَة ..كآبَة ...سكِر الْقلب الذي لا يراع ..

الْموقف تعدى الْملاطفَة.. أبدأ فِي الْوصول لأحلى أوقات جنونى؟!

ماذا بعد الأعمال التّحضيريَة. أَعُدُول أم شروع[1] [*]؟! أَمُمْكِن أن يتراجع رجل الآن؟.. كيف تراجعْتَ يا يوسفُ ؟! كيف أيُّها الصِّدِّيق..

١- الشّروع هو الْبدء فِي تنفيذ فعل بقصد ارتكاب جنايَة أو جُنحَة اوقف أو خاب أثره لأسباب لا دخل لإرادَة الْفاعل فيها ، ولا يعتبر شروعًا في الْجنايَة أو الْجنحَة مجرد الْعزم على ارتكابها، ولا
==

أُقَاوِم حارسي الدَّاخلي؟ولا شهود على تعذيب سجان؟ لم أشم رائحة النبي يوسف!

هي - أنت فِي أحضاني، ألم تسمع نجيب محفوظ فِي (السَّرَاب) وهو يقول "أعظم واجب فِي الدنيا أن تلاعب فتاةً جميلَة تحبها"؟! فأنا الجنس المقدس؟* !! أنا مانحة البهجة؟! فلماذا أنت (ظاهرَة مُنَافيَة

==

الأعمال التّحضيريَة لذلك، وتعين قانونًا الْجنح الَّتِي يعاقب على الشّروع فيها وكذلك عقوبَة هَذَا الشّروع فإذا لم تعين الْجنح بنص فلا عقاب على الشّروع فِي الْجنح.

٢- يلحق بالهياكل (فِي سومر) عدد من النِّساء منهن خادمات ومنهن سراري الآلهَة أو لممثليهم الذين يقومون مقامهم على الأرض (الرِّجَال) ولم تكن خدمَة الهياكل على هَذَا النَّحو الْجِنْسِي يعتبر عارا - وكان على امرأة من نساء بابل (كما ذكر الْمؤرخون ومنهم هيرودوت) أن تذهب مرَة فِي حياتها لمعبد الآلهَة ميليتا (Mylitta) حيث تجلس تنتظر أي رجل يدخل إلَى الْمعبد فإذا أعجب الرَّجل بشكلها ألقى فِي حجرها قطعَة من الْفضَة ثم مارس معها الْعمليَة الْجِنْسِيَّة داعيا لها أن ترعاها الآلهَة ميليتا ولم يكن مسموحا للمرأَة أن ترفض ما ألقي فِي حجرها؟! فإذا ما انتهت الْعمليَة الْجِنْسِيَّة وانتهى معها واجبها الديني تركت الْمعبد وعادت إلَى منزلها!!وقد استمر الْبغاء الْمُقَدَّس فِي بابل حتَّى الْقرن الرَّابع قبل الْميلاد، ثم أُمِر بإلغائه الإمبراطور قسطنطين حوالي سنَة٣٢٥ ق .م وكان اسم آلهَة الْمعبد يتغير من بلد، فِي بابل كانت الْبغايا الْمُقَدَّسات يخدمن فِي معبد الآلهَة ميليتا، وفي كلدانيا وسوريا حلت محل الآلِهَة ميليتا الآلِهَة "عشتروت" (Astarte)، وفى بلاد الْفرس كان هُنَاكَ معبد الآلِهَة ميترا (mithra) أرمينيا معبد أنايتيس (anaitis) وعلى حدود بلاد الْعجم معبد الآلِهَة أرتميس (artemis) وكانت الْبغايا الْمُقَدَّسات يتألفن من طبقَة الْكاهنات يطلق عليهن (حريم الإله) واشتهرت فِي روما فِي معابد الرُّومان الْبغايا الْمُقَدَّسات لدى الآلِهَة برياب وباكوس ومتينوس وغيرها .. ويقول كولن ويلسون: إنه لا يرى لهذا الْمعنى إلا أن يَكُون الإله له أعضاء جسديَة وله علامات الذُّكُورَة.؟! الْمهم أن الْعذراء بعد ممارسَة الْجنس تكتسب التّقديس وتصبح امرأَة ومقدسَة فِي وقت واحد .
وقد ظل الْبغاء الْمُقَدَّس موجودا حتَّى عصرنا هَذَا فِي بلاد منها: الهند واليابان وتفتح الْمعابد أبوابها فِي الهند والسند لاستقبال الْفتيات اللائي يهبن أنفسهن للآلهَة ويخصص بعض هؤلاء الْفتيات لإرضاء حاجَة الرِّجَال الْجِنْسِيَّة (حجاج الْمعبد) وغير مسموح لهن أن يتزوجن؟! يقول جيمس وعدد أخر من الْعلماء: إن منازل الْبغايا حلت كتطور طبيعي محل الْمعابد الْمُقَدَّسَة
==

للطَّبيعَة) أن تسعى لهدف، فإذا أصبح بين يديّكَ تركتة؟ انسبت كيف كنت تطاردنى فى الكلاس؟!وتحضر دروسى وهى مختلفة عن ماتدرس؟! فأنت من سدنة الحكومة تكيل الإتهامات للبشر، أنا إجتماعية حرة تدافع عن البشر،أنت تريد أن تحمى الدولة من ضعف الإنسان ،وأن اطبطب على هذا الضعف واحميه من استبداد الدولة المهين،أنت وثنى أمام تمثال القانون، أن مرتدة عن عبادة وثنك،؟! فالقانون الذى يصنعة بشر،ويعدلة بشر،يجب ان يخالفة البشر؟! قامت فِي غلالتها الْحمراء الشّفافَة .. تألَّقت أنوثَتُها ..

وهكذا نجحت معى المفكرة المغربية..كما نجح من قبل مفكرذكر فى "برهان العسل" ــ مع قرائتنا الرواية و قهوتها المحوجة بالعشقــ عرفنا أن برهان العسل ،هوالعسل نفسه :

«كنت أصل إليه مبلّلة، وأول ما يفعله هو أن يمد إصبعه بين ساقي، يتفقد العسل كما كان يسميه، يذوقه ويقبّلني ويوغل عميقاً في فمي» ..." أكبر لذةٍ بعد ممارسة الحب هي الحديث عنه"..."أنا لا أنام مع رجل أنا أصحو". لم يكن هناك غير جسدها ،والكمياء القاسية التي تشبه سريان اشد أنواع المخدر فتكا للجهاز العصبى! ..اتذكر.. فأكبر لذةٍ بعد ممارسة الحب هي الحديث عنه.. فنحن لا تنام مع النساء نحن تصحو معهن. فالناس نيام فإذا جاء الجنس انتبهوا ؟

==

وظلت تؤدي الْوظيفَة الأساسيَة لها، وهِيَ إرضاء شهوات زوار هذه الْمنازل واللذين كانوا من قبل زوار الْمعابد!

(٢)

كيف ينظر أتباع الدِّيَانَات إِلَى الْمسيح ؟ ... هَذَا السُّؤَال أجاب عنه تقرير قُدِّم للمؤتمر فِي اليوم الأَوَّل..وكشف التّقرير أن الْمسلمين هم الأكثر توقيرا لشخص الْمسيح، والأكثر إيمانا بمضمون رسالته الَّتِي بُنِيَت على الْمحبَّة والتَّسَامح، بينما يرى أتباع الْبوذيَّة أنه شقيق لـ"بوذا" رغم التّفاوت الزمني والجغرافي بينهما ؟! وهو يقترب أيضا من موقف الديانَة الهندوكيَّة أَمَّا اليهود فلا يرونه بكل هَذَا الْجلال والتَّوقير فقد ألصقوا به صفات بَشِعَة ونعتوه بأوصاف وألقاب مُشِينَة؟! الْمسلمون يؤمنون بالْمسيح كنبي يسبق محمد – صلى الله عليه وسلم ـ زمنِيًّا وأنه رسول الله جاء بالإنجيل،وبالنِّسْبَة لليهود كانت نظرتهم التّاريخيَة الْقديمَة للمسيح ولا تزال كمُخَلِّص ومُنْقِذ للبَشَرِيَّة وإن كانوا يعتقدون أن الْمَسِيحَ لم يأتِ بَعْدُ وهم ينتظرون مجيئه؟! والنَّظْرَة الْمُتَطَرِّفَة لبعض اليَهُودِ والَّتِي تُخالف ما جاء بالعهد الْجديد "الإنجيل" عن الْمسيح فهم ينظرون إليه بشكل شديد الْقسوَة، ويرون أنه لم يولد من عذراء لم تتزوَّج ؟! ويَتَّهِمون زُورًا مَرْيَمَ الْعذراء بأنها استسلمت للغِوايَة؟! وأنَّ الْمسيح اكتسب بعض الْقوى السِّحريَّة الَّتِي مكَّنَتْه من أداء بعض الْحِيَل الْمَاهِرَة !! وَيَزْعُمُون أيضًا أنه شنق وأُخْفِيت جُثَّتُه لِيَتِمَّ اكتِشَافُها بعد ثلاثَة أيام .الْمسلمون ينظرون باحترام شديد وحب للمسيح على الرَّغم من إيمانهم بأنَّ مُحَمَّدًا هو آخرُ الأنْبِيَاء، فهم يُقَدِّسون الْمسيح عيسى بن مريم باعتباره نبيًّا وليس ابنا لله ـ فالله مُنَزَّهٌ عن ذَلِكَ كما يؤمنون بالْمُعْجزَة الَّتِي أتت بميلاد السيد الْمسيح ولا يشكون مُطْلقًا فِي طَهَارَة وبتوليَة السيدَة مريم الْعذراء وأن معجزَة إلهيَة

كانت وراء ميلاد السيد الْمسيح دون وجود علاقَة بشريَة بين السيدَة مريم وأي رجل، كما أنهم لا يتشككون فِي صعود الْمسيح إِلَى السماء ..بل إن معجزَة الْكلام فِي الْمهد للمسيح لم يُثْبِتُها إلا الْقرآن الْكريم !؟ وينتهي التّقرير إلى سؤال ناعم كيف ينظر أتباع الدِّيَانَات الأُخْرَى إلَى نبي الإسلام مُحَمَّدٍ (صلعم) !؟ السَّلَفيُّون..الأرثوزكسيَّة الإسلاميَّة: قُدِّمَ للمؤتمر تقرير بعنوان "السَّلَفيُّون..الأرثوزكسيَّة الإسلاميَّة" جاء فيه : ما معنى الأرثوذكسيَة ؟ هَذَا هو السُّؤَال الأَوَّل الَّذِي يجب الإجابَة عليه قبل الدُّخُول فِي خِضَم الْموضوع . وبخصوص معنى هذه الْكلمَة "أرثوذكسيَة" فالْمُتخصِّصون يعرفون أنها يونانيَّة الأصل،وأن لها معاني متعددَة أفاضت فِي شرحها الْقواميس والْموسوعات، لكنها فِي نهايَة الأمر تعني بالْمختصر الْمفيد السلفيَة..ولأن كلمَة "سلفيَّة" ذات وقع إسلامي وجرس عربي فصيح حين تفرِّق بين"السلف والخلف" أو بين الأوائل والأواخر، أو بين الْمُتَقدِّمين والْمتأخرين ولأنها ترتبط ارتباطًا وثيقا بتاريخ الْعقائد الإسْلامِيَّة وحاضرها باعتبارها اسما لفريق من الْمسلمين عُرِفوا بأهل السلف،ولأنها تُشير إلى سيادَة اللُّغَة الْعربيَّة لهذه الأسباب ظل الْمسيحيون الْعرب يستعملون الْكلمَة بمنطوقها ومعناها اليوناني فيقولون:الروم الأرثوذكس.والأرثوذكس السريان.والأقباط الأرثوذكس. وقد وُظِّف مصطلح "السلفيَة" لصالِح الاستخدام الْغربي أو الأمريكي تحديدا..فإنَّه لم يعد وصفا لنفر من أهل الْعلم قرروا الالتّزام بالتّعاليم الأساسيَّة، أو الْعودَة إِلَى الأصول، وإنما غدا عُنوانا لدعوَة للعُنْف والتَّطَرُّف يَنْعَت "السَّلفيَّة الإسلاميَّة"بالتَّخلُّف والعنف والعداء للدِّيمُقراطيَة وبكل الشُّرورِ والْعِبَرِ، ورغم أن بعض الْغرب انتسب إلَى مجال الْبحث والعلم إلا أنه لم يلتزم بالقدْر الْمُفْتَرض من الْحَيْدَة

والْمَوْضُوعِيَّة؛ لذا فإنه كان فِي مُجْمَلِه بمثابة صحيفَة ادعاء أشد حِرصًا على إدانَة الْمُتَّهم. خطورَة ذَلِكَ التَّوْظيف اللُّغَوي أنه يضع جميع الْمُتَدَيِّنين تَحْتَ تصنيف واحد بغير أيَّة تَفْرقَة بين معتدل ومتطرف!! الأمر الذي يكاد يوحي بأن الْمشكلَة الْحقيقيَّة تكمن فِي التّدين ذَاته وهو معنى يُرَوِّج له الْبَعْض بإشارات مُتَبَاينَة الآن فِي فرنسا ؟!ولأن الْعَمَلِيَّة بدأت كمحاكمَة تكلم فيها الادِّعاء وحده حتَّى بدت الظاهرَة الإِسْلامِيَّة كأَنَّهَا من مواليد حِقْبَة السَّبْعِينَات الَّتِي شهدت ظهور عددمن الْجماعات الْمتطرفَة (التَّكفير والْهجرَة،والْجِهاد) ويتجاهل تمامًا كل صفحات سجل الإحياء الإِسْلامِي مُنْذُ بِدَايَة الْقَرْن الذي يقف على رأسه نفر من السلفيين الْمُعْتَدلين:كجمال الدِّين الأَفْغاني،ومحمد عبده ،ورشيد رضا. تعرَّفْت على مجموعَة من الْجَزَائِرِيِّين،كانوا مُنَظّمين ويُمَثِّلُون وحدَة بَعْضُهم ذو لِحْيَة كَثِيفَة ولكنهم جميعًا يلبسون الْملابس الإفرنجيَة كان حديثهم عن تدخُّل الْغرب، وبخَاصَّة فرنسا فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين، بينما كانت من بينهم أصوات تطلب غلق الْملف لأن ما حدث فِي الْجزائر باسم الإِسْلام جَعَل النَّاس تقول: ليت الْفتح الإِسْلامي لم يَصِلْ أرضَنَا ؟! كانت التّركيبَة النَّفْسيَّة للْجَزَائِرِيِّين جَادَّة للغايَة وكأَنَّهَا لا تعرف التّفريج عن النَّفْس لا بالقول ولا بتقاطيع الْوجوه، فِي الْواقع كان لديهم عَجْزٌ عَاطِفِيّ عن التّواصل اللُّغَة الْعربيَّة بينهم (حادَّة) ومخلوطَة بالفَرنْسِيَّة. ويبدو أن الثَّورَة والجهاد الطويل وما بعد ذَلِكَ جعل هُنَاكَ مشاكل فِي الْبِنْيَة النَّفسيَة والعاطفيَة لَدَيْهِم.

جاء..اليَوْمُ الثَّاني وهو يوم اهتمام الْمؤتمر بالْملابس الإِسْلامِيَّة وبمظهر الْمُسْلِمين؛ لِذَا اهتم الْمُنَظِّمُون بتخصيص مساحات أكبر لِلْمَلابِس وعرضوا الْملابس الإِسْلامِيَّة للسيدات "دعوَة وير" أو ملابس الدعوَة فاحتلَّت مساحات أكبر من أيَّة ماركات أخرى كما عرضت ملابس صنعت فِي بلجيكا وفرنسا حتَّى تكون الْمرأة الْمسلمَة كما يقول الْمسئولون "أنيقَة بدون أن تظهر خطوط جسدها- راقيَة دون أن تخالف ربها - مُتَرفِّعَة عن الْفتنَة". كانت زوجتي قد أَوْجدت لِنَفْسها نشاطا مَعَ أُخريات وهو تعليم ربَطَات الْحِجَاب، لأكْتَشِفَ أنَّ الْمرأَة الْمُسلمَة صنَعَت عَالَمًا من الْموضَة فهُنَاكَ الرَّبطَة الْمِصريَة،وهُنَاكَ الْخَليجِيَّة، وهُنَاكَ الرَّبطَة باستعمال نوعين من الْقُماش. والغريبُ أنَّ النِّساء كن يعرضن على الْفرنسيات الْمسيحيات بسذاجَة تجربَة ارتداء الْحجاب!! والفرنسيَّات سعيدات بالتَّجْربَة ويتَصَوَّرْن فوتوغرافيا بالْحِجَاب!! تمامًا كتجربة التّصوير للسياح عند الأهرام بالعقال الْعربي فوق الْجَمَل،وحينما أبدت بعض الْفرنسيات رغبَة فِي شراء الْحِجَاب،تعاونت النِّساء الْمُسلماتُ فأعطيْنَه لهُنَّ هَدِية ولم يَنْسيْن أن يقولنَّ : إنها هدِيَّة فِي الله !! لا أعرف كيف ظهرت وسط ذلك..الْفَرَنْسِيَّة الْملهوجَة كثيرَة الْحركَة والقلق والَّتِي أخذت آخر سيجارَة من سجائري الْمنتول وعلَّقَت وهِيَ تُدَخِّنها فِي نَهَم بعبارَة: ألا زال موجودًا هَذَا التّبغ السيئ ؟ فكَّرتْني زوجتي حينما قالتْ أنَّها باحِثَة فرنسيَة مَسِيحِيَّة مُهْتمَّة بالْبحث فِي (الْحِجَاب) والإسلام وأنها أهدتْها حجابًا من قطعتين من الْقماش بألوان زاهيَة، ولكنها "كثيرَةُ الرَّغي"وطلبَتْ منِّي أن أُسْعِفها باعتباري "سِيبَوَيه" الْفَرَنْسِيَّة كما سبق وأن أشعْتُ لها، يبدو أنها لم تكتفي ببورحاب الجزائري ذو اللحيَة الكثيفَة

(٢)

- أتريد قهوَة؟

" يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة. . أنا. . أنا. . أنا أهوى "

يـأتي الصوت فيحتـال علـيّ. .أهـو مـن "زبيدَة" الْغائبَـة. أم هـو صـوت زوجتي؟

يخذلني صوتي فلا يخرج بالرد. . وتـأتي الـذكريات. وضـعت زوجـتي الْقهوَة الْجاهزَة فِي فنجـان، ووضـعت جـواره ملعقَـة وقطعَـة سكر، تـركتْه أمـامي. أمـا "زبيـدَة" الْمَغْرِبيـة فهـيَ تـرفض هَـذَا الإيجـاز، صـينية فضـية عَلَيْهَا كنكَة نحاسـية لقهوَة سوَّتْها النَّـار فصار لها قوام "وش" وفنجانـان عليهمـا رسـم لقلـب أحمـر، وسـحاحَة مغموسَـة فِي أنبوبَـة بِهَـا مـاء الْـورد، وصـحن بـه بلـح. بـل إنهـا غيرت قميصهاـ فجـاءت بقمـيص نـوم أصـفر؟! فـإذا رفعـت الْفنجـان لأرشـف الْـبن.. . قالـت: قهـوتي مُـرَّة يمكـن أن تتنـاول معها التّمر. وإذا شربت الْماء. . رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد، إنها امرأة تفرد ما عندها. . تلبس كل ما عندها. . وتقـول كـل مـا تعرف. ارتشفت آخر شفطَة فِي فنجان الْقهوَة الْمُـرَّة أيضـا!! وقـد لاحظـت أني شربتُه بمرارته دون سكر على عكس مزاجي! قلبت الْفنجان ولكـن مـن يقرأ الغيب الْمحوّج؟!

اشتقت "المغربية" لأحاورها .هذه الْمرأَة الْمنفلتَة من النَّص، أتشـوق لصدفَة تجمعنا. من الْمؤكد سيكون لها مدخل مختلف فِي الأمر، اذهب للحمام لأحلق ذقني، صورتي فِي الْمرآَة تؤكد أنّ الْعمر مر تجاعيد تحت جفون الْعين، اللون الأبيض يزرع جذوره فِي الشّعر ما في الْقلب يصغر عن

ما بدا فِي الْوجه بعشر سنين!! أحان الْوقت لطفل آخر حتَّى لا أترك ولدي وحيدا؟ هل يترك الْقدر لِي الْقدرَة على اختيار متى يأتي الأولاد؟ أئذا تركت زوجتي الْحبوب إياها، أو مجرد وجودي الذُّكُوري معها. يأتي بالْحمل؟ أم أنّ هُنَاكَ أشياء حدثتْ لدينا. وبنا أعجبها الْوضع الْحالي؟! إن (علي) جاء واللولب موضوع ؟!ولذا تعاملنا مَعَ الْحبوب. أكانت هِيَ الْحقيقَة؟! أم ضجر أنثوي من رجل تخاف هروبَه.. فكذبت الْعلم بالْكيد؟! أكان فِي عيني بيان الْفرا ر،فخلعت اللولب باردَة منفردَة لها ما يبررها من خوف و ضجر أنثوي وشبح امراة اخرى؟! أم هو استثناء الْعلم؟!.يا للنساء. ! على كل حال بقي للحكاية نكهَة الْفحولَة. حين أحكي بأن الْعلم لا يقف فِي وجه قوَة الرَّجل، الْجامح، الطامح فِي الْعشق،وأضرب بنفسي كمثال، فتطمع بعض النِّساء فِي هذه الأُعْجوبَة!! وتعتقد أن مجرد روايتها غزل أو عرض ينتظر الطلب؟! ولكن تبقى الْحقيقَة عند زوجتي، والطبيب الْمعالج!

زوجتي تلف وتدور بمنزلنا الصَّغِير "أستوديو" كالفراشَة حائمَة على النَّور، تراود الصَّغِير على كوب اللبن، وتغسل الأواني، وتكلمني من باب التّسليَة. نظرية جديدَة تتحدث عنها باريس، الْمولهة بالفراعنَة

تقول: "إن رُفَات سيدنا يوسف لم تغادر مصر وإنه دفن بِهَا ولا تزال مومياه فِي الدور الأول من الْمتحف الْمصري بميدان التّحرير، وإنها لم تخرج مَعَ موسى وقومه، ولكن الْمومياء وضعت وحفظت تحت اسم "يويا" وهو الاسم الذي عرف به فِي حياته مشابه لاسم "يوسف". اهتمت زوجتي بالأمر بحكم دراستها للآثار – ولأني لم أسمع منها شيء عن الْفراعنَة طول معاشرتنا فقد أرجعت ذَلِكَ للفراغ. وتستمر وقد بدأت تقليب الطعام وتقطيع الْبصل.

تقول : يويا هو يوسف وهو جد أخناتون عند عالم النَّفس اليهودي "فرويد" الذى اعترف فِي كتابه موسى والتّوحيد أن الديانَة اليهودية منقولَة عن عبادَة أخناتون، وأن اليهود حملوا معهم عندما خرجوا من مصر تعاليم ديانَة أخناتون!! تعرف يا زوجي الْعزيز. . يوسف أو يويا أنجب بنتا وولدا اسمه آي، وقد تزوجت ابنَة يويا أو سيدنا يوسف، أحد فراعنَة مصر وهو "أمنحتب الثالث" وقد أنجبت له ثلاثَة أبناء هم: أمنحتب الرَّابع وأخناتون، وسمنخرع، الذين تولوا حكم مصر. أما الابن فهو الْملك "آي" الذي حكم حوالي ٤ سنوات وعلى هَذَا الأساس فإن يوسف يعتبر جدا لأخناتون والجد الأكبر للملك توت عنخ آمون. أتحب الْكارفس فِي السلطَة؟ ! عاد النَّبي يوسف ليطل بسيرته، اللهم اجعله خيرا ؟!

قلت: متى كان سيدنا يوسف عليه السلام فِي مصر؟

قالت: بالضبط لا أحد يعرف ولكن الْعلماء لهم اجتهادات جيولوجية، فمن بين هذه الاجتهادات:إن الْبركان الذي انفجر فجأَة فِي جزيرَة سانتورتني اليونانية سنَة ١٦٢٨ قبل الْميلاد، أدى إِلَى انتشار سحب الْكبريت فِي السماء على ارتفاع ٢٠٠ متر فغطى ما بين تركيا ودلتا مصر، وأدى ذَلِكَ إِلَى الْجفاف وإلى الْبرودَة الشّديدَة فماتت النَّباتات وجاع النَّاس فِي الْعصور الْقديمَة". قبل ذَلِكَ بقليل تنبأ يوسف عليه السلام لملك مصر بأن سنوات من الْجفاف والجوع سوف تسود مصر، ولذلك نصح الْملك بأن يقيم صوامع الْغلال حتى لا يجوع النَّاس فِي سنوات الْجفاف وفي هذه السنوات جاء إخوة يوسف إِلَى مصر، ومعنى ذَلِكَ أن يوسف عليه السلام ربما عاش فيما بين ١٩٠٠ قبل الْميلاد و ١٣٥٠ قبل الْميلاد، فِي عصر الْملك "خبان" أقوى ملوك الهكسوس.

(٤)

زواج متعة لمدة ساعة؟فيلم عرض بفرنسا بعنوان اهبك المتعة،لسوء الحظ اختارتة زوجتى من بين خمسة افلام تعرض بمول مواجه للطريق المؤدى لقبر نابليون بونابرت، الفيلم وثائقي إيرانـي للمخرجة الإيرانية (سودابه مرتضى) يتعرض لظاهرة زواج المتعة في جمهورية إيران الإسلامية، وفي هذا الفيلم تمكَّنت المخرجة من إلقاء بعض النظرات الفريدة على هذا البلد ذي الجوانب المتعدِّدة..يُقال (من وجهة النظر الشيعية) إنّ النبي محمداً قد أوصى أتباعه بالزواج المؤقَّت حين يكونون على سفر، وبحسب الرواية فقد وافق النبي على زواج المتعة في ظروف معيّنة،على سبيل المثال في أوقات الحرب،أو في الحج؟! وتسمى هذه الممارسة في اللغة العربية بزواج المتعة وتعرف في اللغة الفارسية باسم "زيجة". يتجه بنا الفيلم إلى طهران؛ حيث نجد رجل دين يبدو مظهره من القرون الوسطى، يجلس بعمامة سوداء وعباءة خلف مكتب. ويبدو أنّه ملم خير إلمام بالمسألة التي يُسأَل حولها. يسند هذا الرجل ظهره إلى الخلف على المقعد ويقول: "يجوز للفتاة العذراء عقد زواج متعة من دون ممارسة الجنس؟! إذ لا يجوزأن تتم أية عملية إيلاج، لامن قُبُل ولامن دُبُر"،ويحك أذنه بخجل،ويضحك وتظهر من ضحكته بعض الفجوات بين أسنانه،ثم يضيف: (فكّر القانون الإسلامي الحنيف بكلِّ ذلك ف المتعة عند الشيعة كالزواج الدائم لا تتم إلاّ بالعقد الدالّ على قصد الزواج صراحة، وانّ المتمتَّع بها يجب أن تكون خالية من جميع الموانع، وانّ ولدها كالولد من الدائمة من وجوب التوارث، والإنفاق وسائر الحقوق الماديّة، وانّ عليها أن تعتدّ بعد انتهاء الأجل مع الدخول بها، وإذا مات

زوجها وهي في عصمته اعتدّت كالدائمة من غير تفاوت، إلى غير ذلك من الآثار على أنّ الأمر الذي ينبغي الالتفات إليه وإدراكه بوضوح، أنّ الشيعة ورغم إدراكهم وإيمانهم بحلّية زواج المتعة وعدم تحريمه ـ وهو ما يعلنون عنه صراحة ودون تردد ـ إلاّ أنّهم لا يلجأون إلى هذا الزواج إلاّ في حدود ضيّقة وخاصّة، وليس كما يصوّره ويتصوره البعض من كونه ظاهرة متفشية في مجتمعهم وبشكل مستهجن ممجوج.) تميّز الفيلم بلقاءات حقيقية بين متتبعى المتعة مثل هذا اللقاء في مكتب أحد رجال الدين.يصل له شاب ويسلم ويقبل يده،ويهمس له السؤال: هل يشترط في الزواج الموقت و الدائم حضور شهود ؟ الجواب:العقد المنقطع و الدائم لايحتاج الى حضور شهود ،يلتفت الشاب ويعود يهمس السؤال: اذا كان زواج المتعة محدد لمدة ساعة و استمر الجماع اكثر من ذلك هل وقعنا في الزنا ؟ الجواب: نعم] يخرج الشاب ويقابل سيدة ويقول لهانتفق على اربعة ساعات وضعف المهر فتوافق ضاحكه،تمضى خلفه،وهويسبح فى سره ويقول بصوت مرتفع :إلا الحرام؟! وتضج القاعة بالضحك.

ويسلّط هذا الفيلم الضوء على ظاهرة زواج المتعة في إيران المعاصرة وحدها ومن أجل إنجاز هذا الفيلم التقت المخرجة النمساوية من أصل إيراني، سودابه مرتضي بعض رجال الدين وأبناء الطبقة الوسطى والشباب، وقد سأَلَتهم حول هذا الموضوع الذي يعرفونه جميعهم معرفة جيدة.ومن وجهة النظر الشيعية كانت تتم ممارسة زواج المتعة قبل ظهور الإسلام، وبعد ذلك في عهد النبي محمد، ولكن بعد فترة قصيرة ألغى "المتشدِّدون السنّة"زواج المتعة.إذ كان الخليفة الثاني(عمر) ينظرإلى(زواج المتعة)على،أنّه(زنا)واعتبره محرمًا، ويقولون (قراره كان سياسياً، اكثر منه دينياً) وفي نظر الشيعة كان هذا تدخلاً

متعمّدًا في تقليد أقرّه النبي محمد. وفي المقابل يتّهم أهل السنّة الشيعة بأنّهم لا يبتغون بزواج المتعة شيئًا آخر غير الدعارة. وهكذا لا يتم تطبيق زواج المتعة في يومنا هذا إلاّ لدى الشيعة وخاصة في إيران،ونادرًا ما كان يتم تطبيقه في العراق،حتى كانت حروب العراق المتعددة مع ايران والكويت وتدخل الغرب القبيح فى حرب تدميريه لقوة صدام. ولما كان الأصل فى زواج المتعة في إيران (يستهدف النساء الأرامل.)امتد بنفس المعيار سراً بالعراق،ولكنه يشكِّل اليوم،وخاصة بالنسبة للشباب، ثغرة جامدًا، فعلى الرغم من أنّ زواج المتعة مكروه في المجتمع. ونظريًا يستطيع الأزواج الشباب عقد زيجات دائمه، إلا انهم يفضلون من خلال زواج المتعة (من دون عقد زواج تقليدي) ممارسة حياتهم الزوجية.وفي كلِّ عقد زواج متعة يتوجّب على الرجل دفع مبلغ محدّد لزوجته قبل إتمام الزواج. ويتم تحديد مدة الزواج في عقد الزواج، وكلّ شيء ممكن ـ من بضع ساعات إلى عدة أعوام. وهناك قيد واحد فقط: إذ يتحتّم على المرأة أن تنتظر شهري العدة، أي أن تحيض مرتين قبل أن يجوز لها عقد زواج متعة جديد.ويبين الفيلم كيف طراء تعديل جوهرى على زواج المتعة ،فبأتفاق علنى،أو بنية مضمرة يتجنب اطراف الزواج الشباب أن يكون لهم اطفال منه؟! يصف في الفيلم رجل دين مسن هذه القاعدة بأنها معقولة ويقول: "إذا تزوّجت المرأة بشكل دائم فأين سيكون الاختلاف في ذلك عن الدعارة؟"

ودائمًا عندما يتكلم رجال الدين، يبدو أنّهم يتحدّثون من عالم خاص بهم.وتبقى أقوالهم مثلما هي ومن دون تعليقات. تمكَّنت المخرجة سودابه مرتضى وبشكل دقيق من تصوير ابتعاد المجتمع عن رجال الدين في مواقف متجدِّدة.

إذ نشاهد على سبيل المثال رجل دين شاباً يسافر في سيارة أجرة من طهران إلى قُم تلك المدينة المعروفة بأنّها مصنع رجال الدين في جمهورية إيران الإسلامية. وما أن وضع السائق سي دي موسيقى في جهاز تسجيل السيارة وارتفع صوت أغنية تقول:("هزي خصرك") حتى طلب منه رجل الدين الشاب أن يغلقه ويحافظ على الهدوء. ثم قال رجل الدين هذا إنّ "هذه مشكلة"وأشار إلى الناحية الأخلاقية ،ولكنه لم يستطع اخفاء ابتسامته. وفي مشهد آخر يتعرّف المشاهد على المشكلات التي تدفع الرجال الذين في منتصف العمر مثل سائق سيارة الأجرة هذا إلى زواج المتعة: فالسائق، المنحدر من أصفهان، يبدو أن عمره أكثر من أربعين عامًا، ولكنه ليس متزوجاً ولا يوجد لديه أطفال.وبما أنّه متقدم في السن فهو يجد صعوبة في استئجار شقة. ولذلك فقد نصحته زوجته السابقة التي تزوجها بعقد زواج متعة بأن يعقد زواج متعة جديدعلى ارملة عجوز حتى يضمن تخفيف مصاريف النوم فى كمسيون، ولكن في الوقت نفسه يسلط هذا الفيلم الضوء بدقة على رجال الدين الإيرانيين؛ إذ يعرض شخصيات مختلفة تمام الاختلاف: من رجل الدين الشاب الذي كثيرًا ما يبدو غير واثق من نفسه إلى رجل الدين المتعجرف الذي يرتدي عباءة سوداء وعمامة، وحتى آية الله الملتحي في مدينة قُم.ويواجههم الفيلم جميعاً أثناء ممارستهم مهنتهم التقليدية هذه بالواقع الذي يشكِّك وعلى نحو متزايد في حقِّهم القيادي. ويظهر هذا بكلِّ وضوح في المشهد الأخير: حين يرى المُشاهِد مجموعة صغيرة من نساء يضحكن في مطعم ــ ويبدو مكياجهن مثل دمى باربي، يدخِّن النرجيلة وقد أرخين حجابهن إلى الخلف بقدر الإمكان ليكشف عن قدر كبير من شعرهن، ويسخرن بصوت مرتفع، من رجل دين شاب، كان

يجلس على طاولة مجاورة. ويقلن أيأكل هذا الرواياتي بالشوكة والسكين مثلنا ؟! ويبدو أنّ فعلهنّ هذا استفز هذا المسكين الذي يركّز عينيه بمشقة على طبق الطعام ويبتسم بامتعاض،فى الفيلم رجال الدين لا يأتون بالجديد،إنهم يحفظون،اجهزة كمبيوتر،إنسانية ،يعنعنون ،عن فلان وعن فلان،يقولون طبقا لفتاوى السيد السيستاني دام ظله ويردون على السائلين

[السؤال:هل تؤيدون زواج المتعة بالعقد أو بدون العقد ؟ الجواب:زواج المتعة صحيح لابأس به و لكن لايمكن بدون عقد .،، السؤال: هل زواج المتعة يحل على الرجل المتزوج بدون علم زوجته ؟الجواب: يحل،السؤال:هل زواج المتعة حلال أم حرام؟ الرجاء منكم التوضيح الجواب:من أقبح الذنوب وأكبر الكبائر أن ينسب الانسان التحريم والتحليل الى الله بغير علم قال تعالى: (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب). وليس كل حلال يجب أن نقبله لأنفسنا ومن يتعلق بنا فلو خطب بنتك مسلم أفريقي شديد السواد نتن الرائحة قبيح الوجه هل تقبله؟! هذا مع أن ذلك حلال بل مستحب. وأما دليل الجواز فهو الروايات الكثيرة جداً الواردة عن طرق أهل البيت (عليهم السلام) والعامة أيضاً لا ينكرون تجويزه في عهد من الرسالة المجيدة وانما يدعون نسخه في ما بعد. ،السؤال:هل يجوز زواج المتعة من الغير مسلمة؟الجواب: يجوز اذا كانت مسيحية او يهودية .، من الممكن اعتبار موضوع زواج المتعة كعلاّقة أرادت مخرجة هذا الفيلم أن تعلق عليها صورتها الخاصة عن إيران.صحيح أنّها صورة كئيبة ومحزنة ومع ذلك يجب علينا أن نأخذها في عين الاعتبار

الفصل الثالث

(١)

هل اصبحت زوجاً للشيعية، بهذا العبث الذى كان شاهداً عليه رواية برهان العسل؟أم مؤمن آثم بفعله يطلب من ربه الغفران ،فلم يصل الأغواء لحد [المرود فى المكحلة]ولم يتعدى اللمم ما عرفت موضوعًا أرقنى وأرهقنى مثل هذا الموضوع, أصعب ما تكتشف أن ما تتعاطف معه وجدانيًا ليس بالضرورة هو الصواب، فقد يكون وقد لايكون، وأن الصواب المطلق أحيانًا عسير المنال، خاصة إذا كان لدى الطرف الآخر من المنطق بقدر ما لدينا من الشك، وعنده من الحجج بقدر ما عندنا من علامات الاستفهام. ليس الأمر أمر لوم أو تساؤل بقدر ما هو أمر تمهيد لرياضة ذهنية مرهقة،ما أظن لها نظيرًا فى قضية فقهية أخرى، فطرفا الحوار مختلفان أشد الاختلاف السنة ترى أن المتعة حُرمت إلى الأبد,والشيعة ترى أن المتعة حلال إلى الأبد,والسنة تستند إلى مراجعها المعتمدة من صحاح وسنن ومسانيد وتفاسير ,والشيعة تبالغ فى استعراض قوة حججها بالاستناد إلى نفس المصادر، والاعتماد على أحاديث واردة فيها أيضًا,والطرفان يحتكمان إلى نفس الآيات القرآنية، لكنهما يخرجان منها بتفسيرات ودلالات لا تلتقى أبدًا ولا تتفق مطلقاً، بل يخرج هذا

بعكس ما يخرج ذاك ويؤكده، ويخرج ذاك بنقيض تفسيرهذا وبسنده,وكل طرف يلقى بحجته فتظنها نهاية المطاف فإذا بالطرف الآخر يثبت لك أنها بدايته وأنها مردودة وأناحائر فى اختيارى ،خائف أن اكون تزوجت متعة،و أنا ارفض زواج المتعة كما رفضه كبار الصحابة وأئمة التابعين :عمر وعبدالله بن الزبير، والأئمة الخمسة، أبو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وزيد، وغيرهم كثير، وهؤلاء، لايجتمعون على خطأ أو ينتصرون لباطل،

وهى تقبل بزواج المتعة،وترى انكارة فى الدين من جانب السنة،كأنكار الكنيسة لمريم المجدالية وعندها جمعًا آخر من كبار الصحابة والتابعين قد ناصروه، منهم عبدالله بن عباس ، عبدالله بن مسعود، وأبىّ بن كعب، وابن جريج، وقتادة، وسعيد بن جبير، وسعد بن المسيّب، والإمام جعفر،وما أظن أن هؤلاء أيضًا يجتمعون على خطأ أو ينتصرون لباطل *و اثارنى تكرار النسخ في

❖ زواج المتعة : هو: أن يتزوج الرجل المرأة مدة معينة ، ينتهي النكاح بانتهائها من غير طلاق . وليس فيه وجوب نفقة ولا سُكنى . ولاتوارث يجري بينهما إن مات أحدهما قبل انتهاء مدة النكاح

يرى اهل السنة ان الرسول قد نهى عنه بوم خبير أو يوم الفتح والذين قالوا : حرم يوم خيبر قالوا : ثم أبيح في غزوة الفتح، ثم نهي عنه في اليوم الثالث من يوم الفتح. وقيل : نهي عنه في حجة الوداع، قال أبو داود : وهو أصح ويقول الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : لا أعلم في الإسلام شيئا أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة .ويرى الشيعة بان الرسول لم يحرمه وانا حرمه عمر بن الخطاب استنادا إلى الكثير من الصحابة منهم علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر وغيرهم. والامام علي بن ابي طالب، فيما أخرجه الطبري بالإسناد إليه أنه قال : " لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي " ويحدثنا بهز قال وحدثنا عفان قالا حدثنا همام حدثنا قتادة عن أبي نضرة قال قلت لجابر بن عبد الله إن ابن الزبير ينهي عن المتعة وإن ابن عباس يأمر بها قال فقال لي علي يدي جري الحديث تمتعنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم قال عفان ومع أبي بكر فلما ولي عمر خطب الناس فقال إن القرآن هو القرآن وإن رسول الله صلي الله عليه وسلم هو الرسول وإنهما كانتا متعتان علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء. وروى مسلم في صحيحه : عن ابن أبي نضرة قال : كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن ==

==

الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر، فقال : على يدي دار الحديث : تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج والعمرة وأبتوا نكاح هذه النساء، فلئن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارةوفي ما ذكره الفخر الرازي قول عمر (متعتان كانتا علي عهد رسول الله حلالا وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء) ويحدثنا موسي بن إسماعيل حدثنا همام عن قتادة قال حدثني مطرف عن عمران قال (تمتعنا علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم ينزل قرآن يحرمها، ولم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء) وعن فضل زواج المتعة عند الإثنا عشرية "الشيعة" عن الباقر قال قلت: للمتمتع ثواب ؟ قال إن كان يريد بذلك الله عز وجل وخلافا لفلان لم يكلمها كلمة إلا كتب الله له حسنة وإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبا فإذا اغتسل غفر الله له بعدد ما مر من الماء علي شعره قال قلت بعدد الشعر قال نعم بعدد الشعر

قال الإمام ابن المنذر:(جاء عن الأوائل الرخصة فيها ولا أعلم اليوم أحدا يجيزها إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقولٍ يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) وقال القاضي عياض: (ثم وقع الإجماع من جميع العلماء على تحريمها إلا الروافض). وقال الإمام الخطابي: (تحريم المتعة كالإجماع إلا من بعض الشيعة ولا يصح على قاعدتهم في الرجوع في المختلفات إلى علي رضي الله عنه وآل بيته، فقد صح عن علي أنها نسخت، ونقل البيهقي عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال: هي الزنا بعينه). وقال الإمام القرطبي: (الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل وأنه حرم، ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض). وهذا الإجماع القطعي في التحريم، مستنده الكتاب والسنة

أما الكتاب: (١) ففي قوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون). والمرأة المتمتع بها ليست زوجة، لأن علاقة الزوجية توجب التوارث بين الطرفين، كما توجب على الزوجة العدة في الوفاة والطلاق الثلاث، وهذه أحكام الزوجية في كتاب الله تعالى، والقائلون بالمتعة من الروافض يرون أنه لا توارث بينهما ولا عدة. وهي ليست بملك يمين، وإلا لجاز بيعها وهبتها وإعتاقها، فثبت أن نكاح المتعة من الاعتداء المذموم.(٢) ومن دلالة القرآن على ذلك أيضاً قوله تعالى: (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) [النور: ٣٣]. ولو كانت المتعة جائزة لم يأمر بالاستعفاف ولأرشد إلى هذا الأمر اليسير، وقد تحققنا قيام أمر الشريعة على اليسر ونفي الحرج.

(٣) وكذلك قوله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم......) إلى قوله: (ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم) [النساء: ٢٥] فلو جازت المتعة لما كانت حاجة إلى نكاح الأمة بهذين الشرطين. عدم الاستطاعة وخوف العنت. ==

مسألة المتعة وتبين لي انه أمر اختلف فيه أهل العلم،وترجيح النووي فيه بعد سرده قوله: والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين،وكانت حلالا قبل خيبر ثم أبيحت يوم فتح مكة، وهو يوم أوطاس لاتصالهما،ثم

==

وأما استشهادهم بقوله تعالى: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) [النساء: ٢٤] فهذا لا حجة لهم فيه، بل الاستدلال بذلك على المتعة نوع من تحريف الكلام عن مواضعه ، فسياق الآيات كلها في عقد النكاح الصحيح، فإنه لما ذكر الله تعالى المحرمات من النساء قال: (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) إلى أن قال: (ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات......) [النساء: ٢٥.

ولكن للشيعة رأى مخالف عن (النكاح المنقطع فى القرآن الكريم) ويرون الأصل في مشروعيته قوله سبحانه: (وحلائِلُ أبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أصْلابِكُمْ وأنْ تَجْمَعُوا بينَ الاختَين إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ إنَّ الله كانَ غَفُوراً رَحيماً*والُمحْصَناتُ مِنَ النّساءِ إلاّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ كِتابَ الله عَلَيكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذَلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيرَ مُسافِحِينَ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضةً ولا جُناحَ عَلَيكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعدِ الفَرِيضَةِ إنَّ الله كانَ عَليماً حَكيماً)(٢). الآية ناظرة إلى نكاح المتعة وذلك لوجوه : إنّ هذه السورة؛ أي سورة النساء، تكفّلت ببيان أكثر ما يرجع إلى النساء من الأحكام والحقوق، فذكرت جميع أقسام النكاح في أوائل السورة على نظام خاص، أمّا الدائم فقد أشار إليه سبحانه بقوله: (وإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامى فَانْكِحُوا ما طَابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ ورُباعَ وإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعدِلُوا فَواحِدَةً...)(٣). وأمّا أحكام المهر فقد جاءت في الآية التالية: (وآتُوا النّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً)(٤). وأمّا نكاح الإماء فقد جاء في قوله سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلا أنْ يَنْكِحَ الُمحْصَنَاتِ الُمؤْمِناتِ فَمِن مّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الُمؤْمِناتِ والله أعْلَمُ بِإيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض فَانْكِحُوهُنَّ بِإذْنِ أهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالَمعْرُوفِ مُحْصَنَات غَيْرَ مُسافِحات ولا مُتّخِذاتِ أخْدان...)(٥). فقوله سبحانه: (مِنْ مَا مَلَكَتْ أيمانُكُمْ) إشارة إلى نكاح السيّد لأمته، الذي جاء في قوله سبحانه أيضاً: (إلاّ علَى أَزْواجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ...)(٦). وقوله سبحانه: (فَانْكِحُوهُنَّ بِإذْنِ أهْلِهِنَّ) إشارة إلى الزواج من أمة الغير. فإلى هنا تمّ بيان جميع أقسام النكاح فلم يبق إلاّ نكاح المتعة، وهو الذي جاء في الآية السابقة، وحمل قوله سبحانه: (فما استمتعتم) على الزواج الدائم، وحمل قوله: (فآتوهنّ أُجورهُنّ) على المهور والصدقات يوجب التكرار بلا وجه، فالناظر في السورة يرى أنّ آياتها تكفّلت ببيان أقسام الزواج على نظام خاصّ، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بحمل الآية على نكاح المتعة كما هو ظاهرها أيضاً.

حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريما مؤبدا إلى يوم القيامة واستمر التحريم.
شرح مسلم ٣/٥٥٣.

فلماذا حللت ثم حرمت، ثم حللت ثم حرمت؟ ولماذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلل شيئا قد حرمه من قبل؟ ولماذا يحلل شيئا شنيعا ولو لفترة مؤقتة؟.اللهم لا اعتراض لكن الذي اختاره ابن القيم أن النسخ لم يتكرر في مسألة المتعة،

فعلى فرض تكرار النسخ فليس شيئا من ذلك من تلقاء نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من عند الله تعالى، فليس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مبلغا ومخبرا عنه، وربنا سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه، ويسعفنى قول ابن بطال: وهذا حجة قاطعة في أنه يجب التسليم لله في دينه، ولرسوله في سنته، وبيانه لكتاب ربه، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة في شيء من ذلك، فإن ذلك محنة من الله لعباده، واختبار لهم ليتم البلوى عليهم.وأغلب الظن ان الله قد اراد برحمته أن يظل هذا الموضوع مثارًا، بل مثيرًا للخلاف، لحكمة ربما كشفتها لنا الأيام!

(٢)

كان الْوقت ذات مساء حين دق جرس الْباب.

نحن نستغرب ذَلِكَ بالطبع؟! فلا أحد لنا بفرنسا..

خففت من إزعاج زوجتي، ولكن كانت مفاجأَة أخرى عند فتح الْباب؟!

فرنسي فِي زي حكومي يُسلِّمني " إعلان " بمثول زوجتي أمام قسم التّحقيقات الخَاصَّة بليون؟ ! أسأله: لماذا ؟ ! وكيف عرفوا عنوان بيتنا ؟ وما الْجرم؟

لا إجابَة. .إنه موظف عمومي يحمل أسفارا. أوقع على الإعلان فِي ذهول، وهو إعلان بلا أي هوية يعلنها بالْحضور خلال ٤٨ ساعَة السَّاعَة ١٠ ص للإدلاء بأقوالها فيما هو منسوب إليها، أمام قسم التّحقيقات الخاص، وهو يشبه النَّيابَة عندنا، وهو قسم يعرف بالشرطَة الْقضائية أي له عمل الاستدلالات وبعض أعمال التّحقيقات. كانت ليون لا تستهويني، وكنت أهرب منها لباريس، ونيس، ولولا الْمنحَة والدراسَة فِي جامعتها ما فكرت حتَّى فِي زيارتها. إن الأحياء فيها لها أرقام لا أسماء !! وفيها كثرَة من عرب شمال أفريقيا الذين لا يقيمون علاقات حميمَة مَعَ الْمصريين؟ وفي الاستاد الخاص بِهَا أعيدت لأول مرَّة مباراَة رسمية فِي كرَة الْقدم بين منتخب مصر ومنتخب زامبيا الأفريقي، كانت مصر فائزَة فِي نفس الْمباراَة بالقاهرَة، ولكن طوبَة من مُتَفرِّج بالْمُدرَّجات غير معروف، وتمثيلية ساذجة من الْفريق الزانبي، ونوايا سيئة وسياسَة وقلة حيلَة مصرية أعادت الْمباراَة؟ ! لتخسر مصر الْمباراَة ومعها أمل الذهاب لكأس الْعالم ؟ ! ليخرج عرب شمال أفريقيا والفرنسيين مبتهجين بفوز زامبيا!! لذا لم تكن ليون تميمَة حظ بالنِّسْبَة لي. . فلقد أعطت ما عندها لمصري وحيد هو " طه حسين ". اكتشفتُ بمناقشَة زوجتي بدقَّة فِي الأمر. . أنها أخفت أمرين وأتمنى أن يقتصر ما أضمرته عليهما فهِيَ تُضمر الْكثير كعادتها.

الأول: أنها لا تزال تُدمن حبوب منع الْحمل!!

الثاني: أنها أرسلت بمقالة لمجلَة فرنسية بعد أن استولت عَلَيْهَا لعنَة الْفراعنَة، ولكن الْغريب أنها وقَّعَت ما كتبته باسم استعراضي: (مصرية فِي باريس).

.... (مثلما " هوَّدُو " تاريخ ألْمانيا بالهولوكست، فغُرَف الْغاز الَّتِي صدَّعوا رءوسنا بِهَا كانت تستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبقع ! يبدأ اليهود الآن تهويد تاريخ مصر!! وقد نشر مفكر فرنسي يُدعى بيير ماريه فِي دوريَّة (تحقيق ومراجعَة) الْفَرَنْسِية فِي سبتمبر ١٩٩٢ مقالا من ٣ صفحات بعنوان " غُرَف الْغاز النَّازية حالَة خاصَّة " تناول فيها الْمحرقَة النَّازية من زاوية علمية فقال إنه لو كان الأساس الْعلمي صحيحا فإن الْفكرَة الَّتِي يروج لها اليهود عن اختناق كل هَذَا الْعدد فِي غرف الْغاز أمر غير ممكن علميا وعمليا ـ بسبب كمية الْمياه الرَّهيبَة الْمطلوبة لتنفيذ ذَلِكَ الأمر . وقال فِي النِّهاية الهولوكوست غير صحيح وغير ممكن منطقيا. ونقول إن ما سُطر عن أخناتون، والنبي يوسف، وأحمس، وحتشبسوت غير صحيح وغير ممكن منطقي. وذلك على التّفصيل الآتي: . . . .)

أهذه السطور الَّتِي بدأت بِهَا زوجتي مقالتَها، وأرسلتها لمجلَة " ليبراسيون " الْفَرَنْسِية كافية لكل هَذَا الرُّعب ـ رغم أن الْمقالَة لم تُنشر. ؟ ! أفهم الآن " الْبير كامي " حين يقول: إن ما يُعطي قيمَة للتَّرحال هو الخوف! إننا نُسافر للمُتعَة، كذبَة نُصدقها، ليس هُنَاكَ أي متعَة فِي السفر، ولكنه فرصَة للامتحان الرُّوحي، فالسفر يعيدنا مرَّة أخرى إِلَى أنفسنا. لا أستبعد أن تستبدَّ بي ـ عندما أعود لمصرـ لوثَة تجعلني كلما صحوت كل نهار أتلقى أمي بالأحضان فِي لهفَة شديدَة

انبهارا للحقيقَة الْعجيبَة أنها بجانبي وأراها كل يوم! بقي عندي سؤال مُؤرِّق. كيف عرفوا عنوان منزلنا؟ !

دق جرس الْباب مرَة أخرى؟

فتحت الْباب طَلَّت الْفَرَنْسِية بلحمها، وتاييرها الْقصير كان لونه أصفر فاقع، الغريب أنها قبَّلتني على وجنتي. . فكاد يُغشى على زوجتي، أما أنا فنسيت الزمان والْمكان! أخرجت هدية وقدمتها لزوجتيـ زُجاجَة بارفان مبهجةـ رداً على الحجاب التى اعطته زوجتى لها لله في أيام مسلموا فرنسا،باحت زوجتي، وهِيَ تبكي على صدرها بكل شيء. ما إن رأت الْفَرَنْسِية نُسخَة الْمقالَة الْمُرسلَة لمجلَّة "ليبراسيون" الْفَرَنْسِية حتَّى حلت اللوغاريتم؟

الفَرنْسِية ـ : أُووه إنَّه قانون "جيسو"، شَوْكَة الْحالَة الْفكرية فِي فرنسا قانون مُنْذُ صدوره عام ١٨٨١ نص على "تجريم كل محاولَة لمراجعَة الْحقائق التّاريخية الَّتِي تؤكد وقوع جرائم ضد الإنسانية بالذات تلك الَّتِي وقعت ضد اليهود، لتظهر تهمَة معادَاة السَّاميَة"* فالشك فِي الهولوكوست، أو التّشكيك فِي أعداد اليهود الذين ماتوا فِي الهولوكوست هو نهاية الْعالم، الأمر ليس سهلا.

❖ تنظر التّوراَة إلى الأمم والأجناس الَّتِي خرج بهم النَّبي موسى من مصر، ومن انضم إليه من الشّعوب الأخرى أنهم كيان واحد، وبذلك يَكُون يهودي كل من يعتقد فِي الديانَة اليهوديَة، فتكون اليهودية خليطا بين شعوب سامية وغير ساميَة. ولقد فشلت كل الْجهود الَّتِي بذلت من أجل إثبات تاريخية أحداث قصَة الخروج ولم يستطع الْمؤرخون وضع هذه الأحداث ضمن إطار تاريخي محدد.

الذي اقترح اسم السَّامية الْعالم الألْماني شلوترزر للدلالَة على مجموعَة الشّعوب الَّتِي عاشت فِي الطرف الْغربي من الْقارَّة الأسيويَة، مرتبطَة لغويا وتاريخيا وحضاريا، وهي الَّتِي تضم الْعرب

==

زوجتي : ولكن مقالَتِي عن الآثار، عن تهويد تاريخ بلادي؟ !

- ذكرتي الأمر فِي بداية الْمقالَة (مثلما "هوَّدو" تاريخ ألْمانيا بالهولوكست، فغرف الْغاز الَّتِي صدَّعوا رءوسنا بِهَا كانت تُستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبُقع !) ثم إن الأمر فِي أساسه ضد اليهود، ضد السَّاميَّة. أصل الْمقالَة فِي الْمجلَّة، ونحن لا نعرف مَن أصحابها، ولا اهتماماتهم، ولا الْمصالِح الَّتِي تعنيهم، ولا علاقاتها بالجمعيات الْكثيرَة اليهوديَّة ؟! .. اصرخ فيها فى عتاب

- الْعرب "ساميون" يا سيدتي كيف نكون ضد أنفسنا ؟! إن اليهود يعتبرونا أولاد عم. . فالجد الأكبر لنا النَّبي إبراهيم؟ !

الفرنسية : إن قانون "جيسو"، يحرم علينا الاقتراب من الْفترَة بين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٦ويتركنا أحرارا لندرس ال٤ آلاف سنَة تاريخيا كما نشاء؟ ! فلقد عُوقب بهذا الْقانون الْمؤرخ اليهودي "برنارد لويس" لأنه شكَّك فِي مذبحَة الأرمن الَّتِي ارتكبها الأتراك، وحكمت عليه الْمحكمَة الْعُليا الْفرَنْسِية رغم أنه يهودي، لأنه اقترب مما يُسمى حقائق فِي الْفترَة الْمعنيَّة.

==

والْبابليين والأشوريين والأراميين والسريان واليهود وبعض قبائل الْحبشَة، ويقول الْعالم الْفرَنْسِي الأب هنري فليش: إنه ينبغي أن نفهم من استعمال كلمَة السَّامية أنها ليست أكثر من مجرد مصطلح لتيسير الأمر على الْباحثين دون قصد إِلَى أي دلالَة عنصرية.

- انظر، حسن ظاظا: الْفكر الدِّينِي أطواره ومذاهبه، دار الْقلم سوريا ١٩٧٨ ص ١٠٣ — ١٠٤.

(٣)

ليس أمامنا سوى ٤٨ ساعَة — أتمثل زوجتي أمام إدارَة التّحقيقات عن جريمَة وهميَّة وقد تُحبس احتياطيا رهن التّحقيق وقد. . . .؟ ! هل يمكن ألا يجد ابني والدته معه؟ ! تكوَّرت زوجتي على ابنها آخذة وضع الْجنين، وكأنها تودِّعه دموعُها تنزف لم أرها يومًا بهذا الانهيار! تقول ماذا سنفعل؟ اسألها هل لنا فِي فرنسا شيء؟ ما رأيك لو تركناها؟! إن لدي خطَّة ذات نتائج مزدوجَة، فتكون خطَّة هروب، وقد تكون كوميديا نضحك منها، الأمر يتوقف على الخطورَة،الْمهم لا تسألي انطلقي معي بالتّنفيذ. اهتمت، وأعطتني الاهتمام الْمطلوب، هزت قلبي من الأعماق لحزنها، فعدت لبقايا الْفُرسان بداخلي، بسطت راحَتَيَّ للسماء: "اللهم اجعل حُزننا رمادا كما قلت لنار "إبراهيم" كوني بردا وسلاما" ضحكت وهِيَ تمسح دموعها

(٤)

أهبط لأتدبر خطورَة هَذَا الإعلان. وأنت ستهبطين بعدي ومعك علي، فتذهبي للكوافير فتقصي شعرك قصيرا، ثم تشتري باروكة صفراء، ويثبتها لكي الْكوافير بإحكام، واشتري أيضًا بانطلون جينز ضيق آخر صيحَة، لا أريد أن أرى هَذَا الاندهاش فِي عينيك، إنها خطَّة هروب.؟! إلا من أمل أن تكون مجرد كوميديا نضحك منها؟ ! تركت الْمنزل قبلها حاملا مجموعَة من ملابسنا الْقديمَة، واتجهت بِهَا إِلَى الْمغسلَة وطلبت غسلها وكيَّها، كنت أحب أن يظهر الأمر وكأننا فِي حياتنا الْعادية ! وقبل الذهاب لمكتبَة الْجامعَة، اشتريت تذكرتين سينما

حفلَة الْمساء للتمويه!! إحساس بأني مراقب ـ وإن كنت غير واثق من صحته ـ يفرض عليَّ إتقان الهروب. كانت لعبَة السِّينِمَا فِي خيالي مُنْذُ فعلها السَّادات يوم قيام الثورَة ! وفِي مكتبَة الْجامعَة تبيَّنت خطورَة قانون "جيسو"، * فلم تكن الْفَرَنْسِية مبالِغَة ـ هكذا عرفت الأمر من ملفات الْمحاكم الْمطبوع أحكامها سنَة بسنَة بمكتبَة الْجامعَة – كانت هُنَاكَ مسرحية اسمها "صديقي فريدريك" تروي قصَة اضطهاد طفل يهودي فِي ألْمانيا فيما بين الْحربين الْعالميتين، مُدرِّس بإحدى الْمدارس الثانوية الْفَرَنْسِية ويُدعى "جان اوي بيرجيه" رأى أن نظام التّعليم الْفَرَنْسِي لا يقدم الْحقائق التّاريخية الْحقيقية فِي فترَة الْحرب الْعالمية

---

* منكرو وقوع الْمحرقَة انطلقوا جميعا من عباءَة مفكر فرنسي يُدعى " بول راسينيه " نشر عام ١٩٥٠ كتابا بعنوان (أكذوبَة أوليسيوس) ذكر فيه أن الْمحرقة مجرد مؤامرَة يهودية عالمية، وأن كل الْوقائع الَّتِي حدثت فِي معسكرات التّعذيب كانت مجرد أفعال فردية من رجال الصاعقَة الألْمانية، وانضم لذلك الْمقاتل الْفَرَنْسِي الْقديم فِي صفوف الْمُقاومَة الْفَرَنْسِية " موريس بارديك " ولم يحاكم اليهود راسينيه بقانون جيسو، لكنهم انتقموا منه شر انتقام فِي شخص تلميذه " روبرت فوريسون ".

وكان روبرت فوريسون هو أشهر تلاميذ راسينييه وكان أستاذا للأدب الْفَرَنْسِي رفض بدوره وقوع الْمحرقة ضد اليهود كانت بداية إنكاره حقيقة غُرَف الْغاز عام ١٩٦٠ عندما قرأ مؤلفات راسينييه، ووصل إِلَى إقناع تام بعدم حقيقتها. ثم بدأ فِي إرسال خطابات إِلَى صحيفَة لوموند الْفَرَنْسِية تحمل أفكارَه وفِي عام ١٩٨٧ نشر مقاله الَّذِي أحدث ضجَّة شديدَة والذي حمل اسم (أكذوبَة أوشفيت) والذي اعتبره اليهود الْبداية الإستراتيجية الْحقيقية لمنكري حقائق التّاريخ، وأعقب فوريسون مقاله بسلسلَة من الْمقالات فِي صحيفتي: لوموند والْفرنسيتين يحمل نفس أفكاره الْمنكر للمحارق بشكل أكثر استفاضَة وتنظيما بين عامي ١٩٨١ و ١٩٨٢. و قرر اللوبي اليهودي أن الأمر قد زاد عن الْحدِّ مَعَ فوريسون. فبدءوا الْمُلاحقات الْقضائية ضده وأدانه قانون جيسو عام ١٩٨٢ بتُهمَة الْعُنصرية وإنكار حقائق التّاريخ والتّحريض على الْكراهية الْعنصريَة. وهاجم فورسيبون عام ١٩٩٠ التّعديلات الْجديدَة على قانون جيسو فابيو ووصفها بأنها مقيدَة لحرية الْفكر والْبحث التّاريخي فِي فرنسا، لكن ذَلِكَ الاحتجاج لم يمنع اليهود من ملاحقته قضائيا عدَة مرات بين عامي ١٩٨٨ و١٩٩٠ .

الثانية كما ينبغي، وضع نقطة نظام أمام طُلابه، وعَقِب عرض هذه الْمسرحية قال: لا أريد منكم أن تتأثروا بكل تلك الْمشاهد الَّتِي رأيتموها. تناول الأمر من النَّاحية النَّقدية

قائلا: ستلاحظون أن اليهود الذين ماتوا فِي مُعسكرات التّعذيب أقل بكثير مِمَّا يقولونه لكم، وغالبية اليهود الذين ماتوا لقوا مصرعهم من آثار حصار الْحُلفاء لهم فِي الْمُدن الألْمانية أما "غُرَف الْغاز" الَّتِي صدَّعوا رءوسنا بِهَا فكانت تُستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبقع .

كانت تلك الْجملَة الْعابرَة التي نطق بِهَا الْمدرس الْفَرَنْسِي كافية جدا لكي يبدأ اللوبي اليهودي فِي مُلاحقته قضائيا وجنائيا ومدنيا!! فقام أولياء أمور الطُّلاب بتقديم شكوى لإدارَة الْمدرسَة ضدَّه وحوكم بموجب قانون "جيسو الْفَرَنْسِي" بتُهمَة الْعنصرية ومُعاداة السَّامية وإنكار وقوع جرائم ضد الإنسانية، وحكم عليه بالْحبس لِمدَة ١٢ شهرا وبغرامَة قدرها ١٠ آلاف فرنك مَعَ تهديد صريح بإبعاده من السلك التّعليمي فِي فرنسا. وإلى جوار الْمُحاكمَة شنَّت جماعات الضغط اليهودي حملَة إعلامية شرسَة عليه وَصَفَتْه فيها بأنه نازي يبُثُّ سمومه فِي آذان الطُّلاب وتعقبوا كل محام يدافع عنه، وصنعوا له تاريخا أسود يصعب تحديد حقيقته من زيفه. وعند محاكمة "جان اوي بيرجيه" أمام الْقضاء الْفَرَنْسِي جلست زوجته فِي قاعَة الْمحكمَة تتلوا آيات من الْكتاب الْمُقَدَّس وهِيَ ترتجف، بينما جلس هو هادئا وعلى وجهه ابتسامَة لا مُبالية وعندما سألتْه الْقاضيَة: هل تؤمن حقًّا بأن غُرَف الْغاز النَّازية لم توجد قط؟ اتَّسعت ابتسامته اللا مُبالية، وقال: لِماذا تسألونني

سؤالا يُجرِّم الْقانون الإجابَة عنه؟ ليس من حقي ولا من حق أي مخلوق أن يفكر مجرد التّفكير فِي الإجابَة عن ذَلِكَ السؤال [*]?! ...

يبدو أن اليهود لن يتركوا أحدا فِي دراسته يوما واحدا إذا تعلق الأمر بتاريخهم دون أن يلاحقوه ويحاكموه ويمزقوه إربا لو لزم الأمر، وفي نفس الْوقت سيذبحون كلَّ مَن يُحاول إضافَة حقائق جديدَة للتاريخ تضم الْمذابح الَّتِي يرتكبونها هم. فهل يتركوننا؟! كانت أغرب قضايا مُحاكمَة مُفكِّر بموجب قانون جيسو هِيَ قضية الْمؤرخ الْفَرَنْسِي "جان بلاتين" الَّذِي أصدر٣ أعداد من مجلة تاريخية نشر فيها عدَّة مقالات تتناول الْفترَة فيما بين الْحربين الْعالميتين، وتوصَّل فيها إِلَى نفس الْحقيقَة الأساسية الَّتِي يتوصل إليها كل من يُحاكم بقانون جيسو أن الْمحرقَة النَّازية فِي مُجْمَلها مجرَّد أكذوبَة كبيرَة، وكالعادَة أطلق اللوبي اليهودي قانون جيسو فِي مواجهته. لكن الْمفاجأة الَّتِي اصطدم بِهَا اليهود كانت استحالَة تطبيق قانون جيسو على الدَّوْريات الَّتِي تفصل بين صدور أعدادها مُدَّة زمنية طويلَة، وكانت هِيَ حالَة بلاتين الَّتِي كانت تتخلَّل فترَة صُدور أعداد دورية فِي السوق الْفَرَنْسِي فترَة طويلَة، ألا أن ذَلِكَ لم يوقف اليهود؟! فلم يستخدموا قانون جيسو لعام ١٩٩٠. استخدموا نُسخَة قديمَة للقانون صدرت عام ١٩٤٩ واستخدموا مادَّة فيه تنص على ضرورَة حماية الْقصر من الْمواد الَّتِي تُزيِّف حقائق التَّاريخ ونجحوا فِي تغريمه: ٣٠ ألْف فرنك لـ٣ جهات يهودية مختلفَة،

---

[*] باحث تاريخي هو برنارد نوتين أستاذ الاقتصاد الْفَرَنْسِي بجامعَة ليون الَّذِي نشر عام ١٩٨٩ فِي مجلَة " اقتصاد ومجتمعات " الْفَرَنْسِية بعنوان: دور الإعلام فِي تغييب الْوعي الْقومي. أنكر فيه بشكل حاد وقوع الْمحارق النَّازية، فلاحقه اليهود قضائيا بنفس الشّكل الحادِّ وحاكموه. ثم أدانوه بموجب قانون جيسو

ونصحوه بأن يكف عن الخوض فِي مثل هذه الأمور حتَّى لا تصل غرامته إِلَى الْحد الأقصى الَّذِي يُحدِّده قانون جيسو وهو ٣٠٠ ألْف فرنك. أَيُمكن أن تدعوني فرنسا لوليمَة للحزن؟ ! أتكون هذه الأرْض محترفَة للعشق.. والخوف بالتّساوي؟ !

قصتي مَعَ فرنسا لها عدَّة بدايات، ولكن تأتي النِّهايات غير الْمُتوقَّعَة إنها مَقالِب الْقَدَر. يُصبح ما حَلمنا به صغيرا، تافها، إذا ما تَعارض ذَلِكَ مَعَ أمْنَنا وحريتنا، سُلَّم الأولويات يتغير فجأة فلا يبقى إلا أمل النَّجاة، ألهذا قال (سارتر) عن الأحلام والأماني: الأمل الْقَذِر !! أخرج من الْجامعَة، أتَّجه إِلَى صالون حلاقَة على الْجانب الآخر من الْميدان الْواسع، إحساس بأني مُراقب - وإن كنت غير واثق من صحته - يفرض عليَّ فكرَة التّنكُّر؟ ! إنه الخوف الْغامض. أطلب من الْحلَّاق أن يحلق لي شعري "زيرو" وللدَّهشَة طلب مني أن أختار بين عدَّة قصَّات! أمامي فِي الصَّالون تليفزيون يبث برنامج للمذيعَة الْمشهورَة "بربارا والترز" يجلس أمامها رجل سمين وجهه يشع بالْحُمرَة تسأله: أيمكن للبطل والناس تستقبله بالورود والعلامات الصفراء الدالة على الانتصار أن يعلن انسحابَه ويقرِّر التّقاعد؟ - لأني أعرف بأن الأمر لم يكن يحتاج لبطل ! وبعد تحرير الْكويت، اشتقت للاهتمام بحديقَة منزلي، فالسن والتّنبؤ بالقادم جعل الْقرار سهلا. أسأل الْحلاق من هَذَا الرَّجل الرَّبعَة السمين؟ فيقول لي : إنه "شوارتز كوف" الأمريكي بطل حرب تحرير الْكويت اُنصِت حتَّى تتم الْحلاقَة. والْموس اللامع يجزُّ شعري لِيُخلصني من "فوبيا- الْبقاء" كما كان نفس الْموس بمَكَّة يُخلصني من "فوبيا – الْعذاب"

تنتهي الْحِلاقَة، أنظر فِي الْمرآة فأجد شبيه "لبول برينر" أشهر ممثل عالمي أقرع، أترك الْمكان. لم يبق إلا الهروب مَعَ زوجتي الْحسناء الْمُعدَّلَة بالشَّعر الأصفر الصِّناعي، تخرج من فرنسا بدون حجاب بفقه الضَّرُورَة ومنطق الْغُربَة؟ لم يعُد صَدْر فرنسا موطني. . ولا أرض الهوى أرضي. مُستَحيل أن أبقى هُنَا. . فهنا يبكي على بعضي بعضي. نهرب إلى بريطانيا فيما يُشبه رحلات النُّزهَة الْبحريَّة، عبر بحر الْمانش. نخرج بأرواحنا فقط تاركين آمالنا يأكلها الخطر، تماما كما خرجنا من قبل من الكويت فِي حرب [الْكويت – صدام حسين] ! بالتسعينات وما ادراك ما التسعينات؟! لم ننس أنْ نضع مفتاح الأستوديو – حيث نسكن - فِي مظروف بصندوق بريد الْفَرَنْسِية صاحبَة الْبيت.

أيُمْكن أن ننجح؟ أيمْكن أن نجد مِتْراسا مُتاحًا للبهجَة؟ !

المؤلف فى سطور

- الاسم : اشرف مصطفي توفيق محمد ـ وشهرته اشرف توفيق
- العنوان:١٧ شارع احمد حسني –رابعة العدوية ـ مدينة نصر
- البريد الاليكتروني :ِ Ashraftawfik11@gmail.com
- التليفونات : ٠٢٢٤٠٤٦٧٤٦ ـ ٠١٢٢٣٤٦٧٥٧١
- الجنسية :مصرى
- حاصل على الدبلوم العالي للدراسات الإسلامية بامتياز وكان ترتيبه
- "الأول" ١٩٨٤م ، حاصل على ماجستير قانون ١٩٨٨م
- عضو اتحاد الكتاب ١٩٩٥، عضو أتيليه القاهرة١٩٩٩
- حاصل على جائزة سعاد الصباح للدراسات الإنسانية ١٩٨٩م عن كتاب: (المعارضة).
- حاصل على جائزة يوسف السباعى للمقال الآدبى ثلاث مرات، سنوات: ١٩٨٨ ـ ١٩٩١ ـ ١٩٩٣